

د. عبد الغفار عبد الرؤف حسن عبد الرؤف مدرس بقسم الثقافة الإسلامية -كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة جامعة الأزهر

البريد الإلكتروني: abdelghafarhassan. ۲۰۱۳@azhar.edu.eg

### ملخص البحث:

يعالج البحث بعض الإشكالات الدعوية، بتوجيه النظر إلى وجه من وجوه الإعداد الثقافي للدُعَاة، وهو الإعداد اللغوي، ومعالجته من خلال خمسة مسالك: الأول: الإشارة إلى العلوم المكوّنة للعقلية الدعوية مع تبنيان العلوم اللغوية الاثني عشر وعلاقتها بالهُوية الإسلامية. الثاني: استقراء الواقع اللغوي للدعاة. الثالث: تحديد الأسباب الموصِلة إلى هذا الواقع. الرابع: تقديم العلاج لمناهضة هذا الواقع المؤلم. الخامس: بيان أثر اللغة في تجديد الخطاب الديني.

وتوصّل البحث إلى أنَّ ضعْفَ بعضُ الدعاةِ في العلوم العربية يرجع إلى عدة أسباب، أهمها: طريقة تعليم اللغة العربية؛ حيث ركَّزت على حفظ القواعد، وأغفلت الجانب التطبيقي المحقِّق لبناء الملَكة اللغوية الراسخة في النفس؛ لأنَّ اللغة لا تُكتسب بالقواعد فحسب، وإنما بالممارسة والتَّكْرار.

وظهر أنَّ الجهل باللسان العربي يُوقِع الدعاة في استنطاق نصوص الوحي ما لا تحتمله من الأحكام، ويؤول الأمر بهم إلى سلوك إحدى طريقي التشدُّد أو الميوعة، ومُوقِعٌ لهم كذلك في الخوض مسائل كلامية، والتقوُّه فيها بكلام ينافي العقل والشرع واللسان العربي، وادّعاء أنَّ هذه التناقضات مراد الشارع الحنيف.

الكلمات المفتاحية: التكوين اللغوي – الدعاة – العلوم العربية – تجديد الخطاب الديني.

# The linguistic Composition of the Preachers and Its Effect on the Renewal of Religious Discourse

Dr. Abdel Ghaffar Abdel Raouf Hassan Abdel Raouf

Lecturer, Department of Islamic Culture, Faculty of Islamic Dawah in Cairo, Al-Azhar University

#### Search Summary:

The research addresses some of the issues of propaganda, by drawing attention to one of the facets of the cultural numbers of the da'is, which is the language numbers, and addressing it through five questions: First, referring to the constituent sciences of the da'i mentality with the manifesto of the twelve linguistic sciences and their relation to Islamic identity. Second: To extrapolate the linguistic reality of the preachers. Third: Identifying the reasons for this reality. Fourth: To provide treatment against this painful reality. Fifth: Statement of the effect of language on the renewal of religious discourse.

The research found that the weakness of some of the preachers in the Arab sciences is due to several reasons, the most important of which is the way the Arabic language is taught; It focused on maintaining the rules and overlooked the verified practical aspect of building a strong linguistic queen;

Language is acquired not only by norms, but by practice and repetition.

It appeared that ignorance of the Arabic tongue led the preachers to spread the texts of the revelation in the unthinkable judgments, and it led them to take one of the hard or coarse ways, and put them in speaking matters, and to speak in them in words that are contrary to the mind, the Sharia, and the Arab tongue, and claim that these contradictions are synonymous with the true street.

**Key words**: linguistic composition – preachers – Arab sciences – renewal of religious discourse.

#### مقدمة

لك الحمد يا مَن تقدَّست عن التشبيه والتمثيل، ويسَّرت لنا الوصول إلى حقيقة المعاني بأوضح مجاز وسبيل، والصلاة والسلام على نبيك المرسَل إلى الخلق بالهداية، سيدنا محمد الذي بيَّن الرشد من الغي بالتصريح دون الكناية، وعلى آله وأصحابه الفائزين بالأسرار النبوية الأصلية، وعلى كل مَن تبعهم فَنَالَ عِزِّ الدارين بالتبعية. وبعد....

فإنَّ الدعوة الإسلامية تتعرَّض في هذه الآونة لسيل جارف من الشُّبَه والشكوك المثارة حول حقائق الإسلام، وإنْ كان الصراع بين الحق والباطل من سنن الله في عباده، فقد علا ضجيجه في هذا الزمان، واشتد صخبه، وتلاطمت أمواجه، واختلطت مسالكه، فوقع العامَّة في حَيْرة وقلق، والْتاث الأمر عليهم، واستبهموا وجوهَ الحق. وساعد على اتساع هذه الدائرة نشوءُ الشبكة العنكبوتية وما تولَّد عنها من سهولة طرائق التواصل، وتنوُّع القنوات الإعلامية، وبعد أنْ كانت الشُّبة منحصرةً في دوائر بحثية غدت في كل بيت، بل في كل حجرة.

ومن الهموم الدعوية أنْ يكون تعاملَ الدعاة إزاء هذه السهام إما بالمجابهة اللسانية المجرَّدة عن الدلائل والبراهين، وقد تمتد هذه المجابهة لتشمل أعضاءً أخرى مثل اليد، وإما بالمجابهة القلبية والانعزال عن خلْق الله بالتهرُّب وإخفاء الذات، وإنْ أُتِيَ بهذين الصنفين في محاورة أو مناظرة إعلامية تشول كِفَّة الخائضين في دين الله، وتسْفُل كِفَّة المدافعين عن دين الله، ولا غرو! فكثيرًا ما تسقط الحقوق لعجز أصحابها عن العَرْض والإثبات.

وإسقاط هذه الشُّبَه، وإزالة تلك الشكوك التي يتعرَّض لها الجهال أو المغرضون لا يقتصر على الخطابيات فحسب، أو على عقد المؤتمرات الصورية، وإنما يبدأ بنقد الذات الدعوية، لمعرفة مواطن الخلل والقصور، ولئن تنوعت أركان العملية الدعوية فإنَّ قطب الرَّحَى هو الداعية، ونجاح دعوته منوطٌ بإعداده وتهيئته.

وهذا البحث يُعنى بوجهٍ من وجوه الإعداد الثقافي للداعية، وهو الإعداد اللغوي، وتظهر أهميته في أنَّ المعجزة الخالد هي القرآن العظيم الذي نَزَلَ بسان عربي مبين، والسنة المبيّنة للقرآن بلسان عربي كذلك، والقرآن والسنة مصدران من مصادر التشريع الإسلامي، فاستنباط الأحكام الشرعية يتوقف على فهم هذا اللسان العربي، ومعرفة معهود العرب الذين نزل عليهم القرآن، ومعرفة عوائدهم في مجاري الكلام ومصارفه المشار إليها في علوم البيان، وعلوم البيان تتوقف على علوم، منها: علم النحو للاحتراز عن ضعف التأليف، وعلم الصرف للاحتراز عن مخالفة القياس، وعلم متن اللغة للاحتراز عن الغرابة والوحشية، هذا وعلوم البيان من مُستمدًات علم أصول

الفقه الذي يُعنى باعتصار الأحكام الشرعية من نصوص الوحي الشريف، ولك تلاحظ أنَّ علم أصول الفقه لغة وزيادة، وأنَّ استخراج الأحكام الشرعية يخضع لمعياريَّة دقيقة تشتمل على جملة من العلوم مترابطة ومتكاملة، وأنَّ الفوضى الحاصلة الآن في إطلاق لسان بعض الدعاة لأحكام جزافية إنما ينتج عن الابتعاد عن تلك العلوم، والانصياع للأهواء والرغائب.

#### أسباب الاختيار:

- ١) ضعف المستوى اللغوي لبعض الدعاة.
- ٢) تصوُّر بعض الدعاة أنَّ تحصيل اللغة العربية ينحصر في إقامة أواخر الكلِم بالإعراب
   والبناء.
  - ٣) تأثير اللغة العربية في ضبط العقلية الدعوية في مجالَيْ الشرعيات والعقليات.

#### أهداف البحث:

- ا تبيين العلوم المكونة للعقلية الدعوية على وجه العموم، والعلوم العربية المكونة لها على وجه الخصوص.
- استقراء العوامل الصانِعة للضعف اللغوي عند الدعاة، والكشف عن العوامل المحققة
   لارتقائهم اللغوي.
  - ٣) إظهار بعض ملامح التكامل المعرفي بين العلوم العربية والعلوم الشرعية والعقلية.
  - ٤) التدليل على أثر العلوم العربية في استخراج الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية.

#### الدراسات السابقة:

توجد دراسات تتعلق بشيء من جزيئات هذا البحث، نحو: أثر الدرس اللغوي في فهم النص الشرعي: أ.د/ محمد المختار محمد المهدي، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة، العدد السابع عشر، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، وهي تُعنى ببيان الأثر المعنوي لمعرفة كل من المعنى اللغوي، والمعني الصيغي، والموقع الإعرابي، والسياق.

#### منهج البحث:

يقوم بينان البحث على منهجين:

الأول: المنهج الاستقرائي: ويقوم على تصفُّح الجزئيات والوصول منها إلى حكم كلي.

الثاني: المنهج التحليلي: ويقوم على تحليل عدد من الأمور تحليلًا علميًا لاستخراج النتائج من مقدماتها.

#### خطة البحث:

يَنْتَظِمُ الكلام في تمهيد، وخمسة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: العلوم العربية وعلاقتها بالهوبة الإسلامية.

المبحث الثاني: الواقع اللغوي للدعاة.

المبحث الثالث: مقوضات الازدهار اللغوي للدعاة.

المبحث الرابع: عوامل تنمية الملكة اللغوية للدعاة.

المبحث الخامس: آثار التمكُّن من العربية في تجديد الخطاب الديني.

#### تمهيد

## تحرير مدلول بعض مصطلحات عنوان البحث

تستنير في هذا التمهيد غوامض بعض المصطلحات الواردة في عنوان البحث؛ حيث يتضح مفهوم اللغة، ويتحرَّر محل النزاع في تعيين واضعها، ويظهر مدلول مصطلح (تجديد الخطاب الديني)، والفرق بينه وبين التغيير، وأخيرًا الإشارة إلى علامات الخطاب الديني الرشيد.

#### أ- تعريف اللغة:

عرَّف فيلسوفُ العربيةِ ابن جِنّي اللغةَ بأنها "أصواتٌ يُعبّر بها كلُ قومٍ عن أغراضهم" ومفاده: أنَّ من لُطْف الله بعباده أنْ أَحْدَثَ لهم أصواتًا مشتملة على بعض الحروف الهجائية يُعبّرون بها عن حوائجهم، وإلا فكيف يتواصل الإنسان مع غيره بطلب شيء أو الإخبار عن شيء؟ ولولا ذلك لكان الإنسان كالجماد بيد أنه يتحرَّك.

وتعريف ابن جنى السابق من أفضل التعاريف؛ لاشتماله على عِدَّة لطائف، منها:

- ١) اشتماله على الآلة اللغوية، وهي: الصوت الناشِئ عن تحريك اللسان.
- ٢) اشتماله على المادة اللغوية، وهي: الأحرف الهجائية التي تشكّلت من الصوت.
- ٣) اشتماله عن المخزون اللغوي، وهي المعانى التي يُعبّر بها الإنسان عما يختلج في ضميره.
  - ٤) اشتماله على الغائية اللغوبة، وهي: التعبير عن الأغراض والحوائج.

#### ب- واضع اللغة:

اختُلِفَ في وضْع اللغة: أهو أمر توقيفي، أي: وضعه الله تعالى، أم أمر اصطلاحي، أي: اصطلح عليه الناس، أم بعضه توقيفي وبعضه اصطلاحي، وتحرير محل النزاع فيه يتضح بالآتي: 1. أسماء الله والملائكة، وإضعها الله اتفاقًا.

- ٢. أعلام الأشخاص كزيد، وعمرو، ومصر، وبغداد، واضعها البشر اتفاقًا.
- ٣. أسماء الأجناس كرجل، وإمرأة، وأسد، وذئب، فهي محل الخلاف، فقيل: واضعها الله، وعَرَفَها الخلق إما بوحى، أو بخلق علم ضروري، وقيل: البشر، وقيل: بالوقف لعدم الدليل القاطع ٣٠.

<sup>)</sup> الخصائص لابن جني، تحقيق: الأستاذ/ محمد علي النجار، المكتبة العلمية عن طبعة دار الكتب المصرية, القاهرة، ١٩٥١هـ, ١٩٥٢م، ٣٣/١.

#### ج - مفهوم تجديد الخطاب الديني:

يراد به كمركب لقبي: "إحياء ما اندرس من تعاليم الإسلام، واستثمار الآليات الحديثة في نشره، وإبراز الرأي الديني في الأمور المستحدّثة، والتصدّي للآراء المتطرفة والجامحة والمغالية"(١٠).

يفيد التعريف أنَّ محورية التجديد تتمثل في أمرين:

أولهما: المحافظة على أصول الدين بإحياء ما انطمس منها، وتخليصها مما زَاحَمَهَا من عادات وتقاليد تغايِرُ أصول الدين ومبادئه، وصارت معيارًا للسلوك الإنساني.

ثانيهما: تنويع طرق عَرْض الدين بحيث تناسب التطوُّر الزماني، والتقدُّم التَّقني، فيراعي الداعية عقول المخاطَبين، ولا يقدر على ذلك أي داعية، فإلقاء محاضرة في بلد غربي لا يستقيم فيها أنْ تحدّثهم عن حكم الصلاة في المساجد المشتملة على أضرحة، أو عن حكم مصافحة النساء، أو عن حكم كشف الوجه؛ ولن يأسر خطابك الفزيائيين والكميائيين إذا حدّثتهم بكلام يخالف العلوم والنظربات الحديثة.

إن قوة الداعية ليس بمجرد حفظ خطب رنانة، أو التكلم بسجع بارد، أو التشدُق بملء الفم في نطق الكلمات، بل إنَّ تكوينه يحتاج إلى التضلُّع في جملة متكاثرة من العلوم؛ لأنَّ عصرنا يزخر كلَّ يوم بتيارات فكرية وشُبَهٍ مضللة تكاد تخلع الدين من أفئدة شبابنا الناشئ، والداعية أكثر المعنيين بالشرع مخالَطةً للناس عامّهم وخاصّهم.

### د - الفرق بين التجديد والتغيير:

يتلخص الفرق بينهما بأنَّ التجديدَ إحياءً للأصول، والتغيير مسخِّ للأصول وتشويهٌ لها، يُوضِّح ذلك الإمام الأكبر بقوله: يُفرق بين التجديد والتغيير بأنَّ "الأول: حِفَاظٌ على الأصول وإضافةٌ إليها، ونفضٌ لما يتراكم عليها من غبار يحجبها عن الأنظار. والثاني: هدمٌ وبدءٌ جديدٌ من فراغ يتم تحت أي مسمى إلا مسمى التجديد، اللهم إلا إذا كان القصد تغييب الوعي أو خداع الجماهير "‹‹›).

<sup>)</sup> من جهود الأزهر في التجديد: تقديم: أ.د/ عباس شومان، هدية مجلة الأزهر، عدد: رجب ١٤٤١هـ – مارس ٢٠٢٠م، ص ١٣٢.

<sup>)</sup> التراث والتجديد مناقشات وردود: الإمام الأكبر/ أحمد الطيب، دار القدس العربي، القاهرة، ط٢، ١٤٣٧هـ التراث والتجديد مناقشات وردود: الإمام الأكبر/ أحمد الطيب، دار القدس العربي، القاهرة، ط٢، ١٠٣هـ

#### ه - شروط التجديد الحقيقى:

- ان ينشأ التجديد من داخل الثقافة المتكاملة المتماسكة الحيّة في أنفس أهلها، أي: الذاتية في التجديد، فلا يصح فيه استجلاب أصحاب ثقافة أجنبية ليقوموا بعملية التجديد بدلًا عن أصحاب الثقافة.
- ٢) صدور التجديد من مُتَمَكّن النشأة في ثقافته ولسانه ولغته، متذوقٍ لما هو ناشئ فيه من آداب وفنون وتاريخ، مغروس تاريخُه في تاريخها وفي عقائدها، فلا يصدر التجديد إلا ممن تسلَّح بالعلوم والمعارف الموضّحة للطرق الصحيحة في التعامل مع الوحي الشريف فهمًا واستنباطًا وتوظيفًا.
- ٣) الحوار الذكي بين التفاصيل الكثيرة المتشابكة المعقدة التي تنطوي عليها هذه الثقافة وبين رؤية جديدة نافذة، حين يلوح للمجدّد طريق آخر يمكن سلوكه، من خلاله يستطيع أن يقطع تشابكًا من ناحية، ليصله من ناحية أخرى وصلًا يجعله أكثر استقامة ووضوحًا، وأن يحل عُقْدة من طَرَف، ليربطها من طَرَف آخر ربطًا يزيدها قوة ومتانة وسلاسة (٠٠).

وهذا الأخير يستلزم ثلاثة أمور، هي:

- الشعور بالمسؤولية إزاء الحفاظ على الأوطان، والرغبة الحقيقية في إعلاء شأنها،
   والتصدي لمحاولات هدمها أو زعزعتها.
- المشروع النهضوي الذي يُخْرِج الفرد من الانحصار في ذاته إلى الارتباط بقضايا الأمة الإسلامية وهمومها..
- ٣) رصد التحديات الاجتماعية السائد التي تواجه الأمة، وتحليلها، وتقديم العلاج الناجع لها
   على المستوى الفردي والجماعي<sup>(\*)</sup>.

وبقابلُ التجديدَ الحقيقيَّ التجديدُ المزيفُ، ومن علائمه:

1) التعامل مع نصوص الوحي دون التمكن من الأدوات الضابطة لهذا التعامل، المبيّنة في علوم الآلات والمقاصد التي دوّنها علماء المسلمين منذ العصور الأولى الهجرية، ولم يقف الأمر على الجهل بهذه العلوم، بل ظهرت دعوات تذمّ بعض هذه العلوم، كذمّ علم الكلام الذي يُعنى بإثبات العقائد الدينية والمدافعة عنها بأنه علم المبتدعة، وعلم المنطق بأنه علم

<sup>&#</sup>x27;) أصل الشروط الثلاثة من كتاب: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا: الأستاذ/ محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص ١٥٧.

ل رؤية إسلامية في قضايا العصر: أ.د. محمد عبد الفضيل القوصي، هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، ط١،
 ١٤٤٢هـ، ٢٠١٢م، ص ٣١٥، بتصرف.

يوناني أنشأه الكفار، وعلوم العربية بأن الصحابة لم يعرفوا مصطلحات هذه العلوم، إلى غير ذلك من هذه الأباطيل التي أشاعها الجهال، ومكّنهم من إشاعتها أصحاب الأغراض والمصالح...

- لقطيعة مع الدولة، والأحادية في الحوار الإنساني، والعدائية والتصادمية لكل من يخالف الرأى والفكر.
- ٣) الاستعلاء، "فهو خطاب ينظر لغيره على أنهم أقزام، وهو وحده من بين الفرقاء العملاق الأوحد الذي ينفرد بمعرفة مراد الله تعالى ورسوله على من نصوص الوحي... ومن شر ما ابتلي أصحاب الخطاب به: الانتفاخ العلمي الأجوف؛ إذ يتطاولون على المؤسسات العلمية ذات الأصالة والعراقة التي عاش الفكر ولا يزال يعيش في أحضانها"(٢).
- ٤) الانعزال عن واقع المسلمين ومشكلاتهم، واصطناع مشكلات وهمية، نحو: إغضاء الطرف عن كل المشكلات الدعوية في مصرنا الحبيبة، والدعوة مثلًا إلى تحذير العوام من مخاطر الشيعة في مصر! نعم إنها مضحكات مبكيات.

ولإعانة الدعاة على تجديد الخطاب الديني الذي يتفاعل مع الواقع كان هذا البحث المبيّن لجانب من جوانب الإعداد الثقافي ضمن منظومة المعارف المشكّلة للعقلية الدعوية، إذ وهن الدعاة في هذه العلوم المكوّنة لهم يؤدّي إلى إرباك في المشهد الدعوي، وكلُّ دعوة إلى التجديد وما يُضارِعه من مصطلحات إنْ لم تنطلق من البناء العلمي للدعاة أو العمل على ترميمه وتنميته، فغاية أثرِها خبرٌ يُطوى في صحيفة، أو صورة تُتشر على موقع.

<sup>۲</sup>) خطاب القطيعة مع الدولة لدى الجماعات المتطرفة: سماته ومظاهره: أ.د/ محمد سالم أبو عاصي، ضمن كتاب: فقه بناء الدول، إشراف وتقديم: د. محمد مختار جمعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ٢٠٢٠، ص ٩٦.

<sup>&#</sup>x27;) ينظر: خلاصة القواعد المنطقية: د/ عبد الغفار عبد الرؤوف حسن، تقديم: أ.د/ صابر أحمد طه، أ.د/ محمد عبد الدايم الجندي، دار الإمام الرازي، القاهرة، ط١، ١٤٢٢ه – ٢٠٢١م، ص ٣١: ٤٠

# المبحث الأول□

## العلوم العربية وعلاقتها بالهوية الإسلامية

الكلام هنا عن أنواع المعارف في المنظومة المعرفية الأزهرية وموقع العربية منها، والعلاقة الترابطية بين اللغة والهوية الإسلامية من خلال هذين المطلبين:

## المطلب الأول

## أنواع المعارف في المنظومة المعرفية الأزهرية

إنَّ المؤسسة المعنِيّة بتخريج الدعاة الحاملين للرسالة الإسلامية والمدافعين عنها هي مؤسسة الأزهر العظيم، والعقلية العلمية فيها تتكون من أربعة أنواع من العلوم المتكاملة، هي:

أولاً: العلوم النقلية، أي العلوم التي نشأت حول القرآن الكريم والسنة المطهرة من التفسير، وعلوم القرآن، والحديث، وعلومه، والفقه، وأصوله، وعلوم السيرة، وكليات العقيدة ومسائلها، وكل علم يكون النص فيه هو الموضوع الذي تدور عليه مسائل هذا العلم، ويستقل الدليل النقلي فيه بإثباتها والاحتجاج عليها.

ثانيًا: العلوم العقلية، ويقصد بها العلوم التي يكون مأخذ البرهنة فيها من بدهيات العقل أو نظرياته، وذلك مثل علم أصول الدين، وهو الذي يسمى بعلم الكلام أو علم التوحيد أو الفقه الأكبر، ومثل الفلسفة الإسلامية، ومثل المنطق اليوناني بعد أن طوره المسلمون وأضافوا إليه كثيرًا مما كان ينقصه في بيئته الإغريقية.

ثالثًا: العلوم الذوقية، والمقصود بها التصوف الإسلامي لكل مشاربه الذوقية، وتجاربه الروحية، وقد ذَكَرَ هذه الثلاثة الإمام الأكبر (١٠)، وأرى أنَّ هناك نوعًا رابعًا من مكوّنات العقلية الأزهرية، فتصير الأنواع أربعة:

رابعًا: العلوم التجريبية، وهي العلوم التي قوامها الملاحظة والتجربة، كالفيزياء والكمياء، "والعلم التجريبي يعرف الطبيعة التفاعلية والتحليلية للعناصر، ولا يعرف طبيعتها الميتافيزيقية التي هي العلة في الطبيعة التفاعلية والتحليلية"، أي: وظيفته التحليل والتفسير، لا التعليل والتسبيب،

<sup>)</sup> دليل معلمة المناهج الأزهرية (قائمة بالكتب المعتمدة في الأزهر الشريف)، تقديم: الإمام الأكبر/ أحمد الطيب، مجلس حكماء المسلمين، الإمارات العربية المتحدة، ط٣، ١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م، ص ١١، بتصرف.

ل مجلة المقتطف، الجزء الأول من المجلد الرابع والتسعين، ١٠ ذي القعدة سنة ١٣٥٧ه – ١ يناير سنة ١٩٣٩م،
 مقال للأستاذ/ على حافظ، بعنوان: الطبيعة الميتافيزيقية والعلوم التجريبية، ص١١٥.

ولا غنى للعقلية الأزهرية عن الوقوف على مبادئ هذه العلوم التجريبية.

#### موقع العربية من المنظومة المعرفية الأزهرية:

علم العربية - ويُسمَّى بعلم الأدب - من العلوم النقلية، وهو علمٌ يُحترز به عن الخلل في كلام العرب لفظًا وخطًّا، أي: كتابة، وعدد علومه اثنا عشر علمًا (()، وقد نُظِمَت في قول بعضهم:

- لغـــة وصــرف واشـــتقاق نحوهــا علـــم المعــاني والبيــانُ بـــديع
- وعـــروض قافيــــة وإنشـــا نظمهــا 🏓 بكتابـــة التــــاريخ لـــيس يضـــيع'``

إلا أنَّ العطَّار نَظَمَهَا وجَعَلَ علم البديع تابعًا لعلمَي المعاني والبديع، ووضع مكانه علم قرض الشعر، قال: وقد يطلق علم العربية على مجموع اثني عشر، جمعتها في قولي:

- نحو وصرفٌ عَروضَ بعددَه لُغَةٌ ثمَّ اشتقاقٌ وَقَرْضُ الشّعو إنْشَاء عُ
- كَـــــذَا المعــــان بيــــانُ الحــــطُ قَافيـــةٌ تاريــخ هـــذا لعلــم العــرب إحصــاء (٣٠٠)

وعلى منوال العطار نسج السُّجَاعي إلا أنه استبدل علم التاريخ بعلم المحاضرات، يقول: والعربية منسوبة للعرب، وهي علم يحترز به عن الخلل في كلام العرب، وهو بهذا المعنى يشمل اثنى عشر علمًا، جمعها بعض أصحابنا في قوله:

صَــرْفٌ بَيَــانٌ مَعَــانى النَّحْــوُ قَافيَــةٌ • شعرٌ عَــرُوضُ اشْــتقَاقُ الخَـطُ إِنْشَـاءُ مُحَاضَـــرَاتٌ وَثَانِي عَشْـــرَهَا لُغَـــةٌ • تلْــكَ العُلُــومُ لَهَــا الآدَابُ أَسْمَــاءُ ثم صار \_ أي: علم العربية \_ علمًا بالغلبة على علم النحو)(٤).

## وجه تقسيم هذه العلوم:

) ينظر: المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية: الشيخ/ حمزة فتح الله، المطبعة الأميرية بمصر، ط١، ١٣١٢ه، ١٨/١.

لوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية: حسين المرصفي، تحقيق: د/ عبد العزيز الدسوقي، الهيئة المصرية العامة
 للكتاب، ١٩٨٢م، ١٩٨٦.

<sup>&</sup>quot;) حاشية العلامة الشيخ حسن العطار على شرح الأزهرية في علم النحو للشيخ خالد الأزهري، دار ميراث النبوة، القاهرة، ط1، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م، ص ٢٣.

<sup>)</sup> حاشية السجاعي على شرح قطر الندى لابن هشام، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥٨ه – ١٩٣٩م، ص ٧.

نقل الشيخ محمد أبو عليان الشافعي عن السيرامي الوجه في تقسيم هذه العلوم بقوله: "الباحث عن حال جوهر اللفظ ومادته اللغة، وعن أصله وفرعه الاشتقاق، وعن هيئته التصريف، وعن حال آخره إعرابًا وبناءً النحو، وعن حال مطابقته الحال المعاني، وعن اختلافه في التعبير به عن المعنى الواحد وضوحًا وخفاءً البيان، وعن محاسنه البديع، وعن وزنه العروض، وعن آخره الموزون القافية، وعن كيفية النظم وترتيبه قرض الشعر، وعن كيفية ترتيب المنثور إنشاء النثر، وعن كيفية إيرادها في الكتابة علم الخط، والفرق بين العروض وقرض الشعر أنَّ العروض يتميز به الموزون من غيره، وقرض الشعر يعرف به كيفية إيراد الموزون والمقفى السالم من العيوب"(١٠).

وفيما يأتي تعريف موجز بجملة العلوم المتفق علي إدراجها في العربية والمختلف فيه:

#### عدد العلوم العربية:

الأول: علم اللغة، ويُسمَّى بعلم متن اللغة، وهو العلم الذي يُعرف به أوضاع مفردات الكلام العربي من حيث موادها وجواهرها، وهي حروفها المخصوصة، "وغايته: الاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني الوضعية، والوقوف على ما يُفْهَمُ من كلام العرب"، ودواعي نشأته أنه لما فسدت ملكة اللسان العربي في موضوعات الألفاظ "استُعمِل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم ميلًا مع هُجْنَة المتعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية، فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدُّرُوس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث، فشمَّر كثير من أئمة اللسان لذلك، وأملوا فيه الدواوين" (")، ككتاب العين للخليل بن أحمد، والصحاح للجوهري، ولسان العرب لابن منظور.

الثاني: الصرف: ويقال له: علم التصريف، وهو: علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب ولا بناء، ومن فوائده: تحديد المعنى الصيغي للفظ، فإذا أردت أنْ تُحدّد معنى لفظ، تبحث عن معناه اللغوي في كتب الغريب والمعاجم، ثم عن معناه الصيغي في كتب الصرف؛ إذ لكل صيغة معنى يخصها، وكل حرف يُزاد على أصول الكلمة العربية لا بد أن يكون له معنى

<sup>&#</sup>x27;) اللؤلؤ المنظوم في مبادئ العلوم: محمد أبي عليان الشافعي، المطبعة الحسينية بمصر، ١٣٢٥ه، ص ١٤٣٠، وما بعدها.

لعلمية، القاهرة، ط١، ٥٠٥ هـ موضوعات العلم: أحمد بن مصطفى، الشهير بطاش كبري زاده، دار الكتب العلمية، القاهرة، ط١، ٥٠٥ هـ ١٩٨٥م، ١٠١/١.

٣) مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق: د. علي عبد الواحد وافي، مكتبة الأسرة، مصر،
 ط۲، ۲۰۰٦م، ۱۱۳۱/۳.

زائد يقصده البليغ (١).

الثالث: الاشتقاق: علم بقواعد يعرف بها كيفية خروج الكلمات العربية بعضها من بعض لمناسبة بين المخرج والخارج بالأصالة والفرعية باعتبار جوهرها، وغايته: الاحتراز عن الخطأ في انتساب بعض الكلمات العربية إلى بعض، والفرق بينه وبين علمي اللغة والتصريف أنَّ علم اللغة يبحث عن مدلولات جواهر الكلمات بخصوصها، وعلم الاشتقاق يبحث عن انتساب بعضها إلى بعض بحسب جواهرها، وعلم التصريف يبحث عن الانتساب بحسب هيئاتها، ويعلم من هذا الفرق بين هذه العلوم الثلاثة أن الاشتقاق كالبرزخ بين علمي اللغة والصرف، ولهذا استحسنوا تقديمه على الصرف، وتأخيره عن اللغة. وهذا العلم كثيرًا ما يذكر في كتب الصرف، وقلما يُدوّن مفردًا، إما لقلة واعده، أو لاتصالهما في القواعد وإشتراكهما في المبادي، حتى إن هذا من جملة البواعث على اتحادهما حيث لم يعرفوا أن الاتحاد في التدوين لا يستلزم الاتحاد في نفس الأمر، إذ كثيرًا ما يدون عدة فنون في كتاب واحد (٣٠٠). وجعل الاشتقاق علمًا مستقلًا مبنيً على رأي السيد الشريف في أن الاشتقاق علم مستقل بذاته، ويرى السعد أنه من تتمة علم الصرف، والحق مع السيد لتغاير موضوع كل منهما باعتبار الحيثية المعتبرة في موضوع كل منهما (٣٠٠).

الرابع: النحو: علم بأصول تعرف به أحوال أواخر الكَلِم إعرابًا وبناء، وفائدته: العصمة من الخطأ في كلام العرب المؤدي إلى خفاء معناه، والاستعانة به على فهم كلام الله تعالى ورسوله ، وعليه تتوقف صحة التركيب، وفهم أصل مراد المتكلم بخلاف غيره من علوم العربية (٤).

الخامس: المعاني: علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال، وينحصر مقصوده في ثمانية أبواب: أحوال الإسناد الخبري، أحوال المسند إليه، أحوال المسند، أحوال متعلقات الفعل، القصر، الإنشاء، الفصل والوصل، الإيجاز والإطناب والمساواة، وفوائده كثيرة: منها: "معرفة دقائق العربية وأسرارها، وذلك أنَّ مَن تعلَّمه ثم سمع كلامًا من الكتاب والسنة أو غيرهما استدلَّ بأحوال ذلك الكلام على المقامات التي اقتضتها، وهذه زيادة على ما يفيده أصل الكلام من ثبوت المسند للمسند إليه. ومنها: الاقتدار على إيراد الكلام مطابقًا لما يقتضيه المقام.

<sup>)</sup> ينظر: أثر الدرس اللغوي في فهم النص الشرعي: أ.د/ محمد المختار محمد المهدي، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة، العدد السابع عشر، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، ص ٤٥٥.

<sup>&</sup>lt;sup>۲</sup>) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلم: أحمد بن مصطفى، الشهير بطاش كبري زاده، دار الكتب العلمية، القاهرة، ط۱، ۱۲۰۰ه – ۱۲۲۸، بتصرف.

<sup>&</sup>quot;) أبجد العلوم: صديق بن حسن القنوجي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٨م، ٢/٤٥، بتصرف.

<sup>&</sup>lt;sup>1</sup>) اللؤلؤ المنظوم في مبادئ العلوم: محمد أبي عليان الشافعي، ص ١١٢.

ومنها: معرفة الوجود التي نشأ عنها إعجاز القرآن للإنس والجان، وأن عجزهم عن معارضته لاشتماله على معانى ودقائق خارجة عن طاقة المخلوقات"(\).

وعلم المعاني شديد التداخل بعلم أصول الفقه، ينبه إلى ذلك بهاء الدين السبكي بقوله: "واعلم أن علمي أصول الفقه والمعاني في غاية التداخل؛ فإن الخبر والإنشاء اللذين يَتَكَلَّمُ فيهما علم المعاني، هما موضوع غالب الأصول، وإن كان كل ما يتكلم عليه الأصولي من كون الأمر للوجوب، والنهي للتحريم، ومسائل الأخبار، والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والإجمال والتفصيل، والتراجيح، كلها ترجع إلى موضوع علم المعاني، وليس في أصول الفقه ما ينفرد به كلام الشارع عن غيره، إلا الحكم الشرعي والقياس وأشياء يسيرة"(١).

السادس: البيان: علم يُعْرَفُ به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، أو يقال: هو علم يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية، "وفائدته منها: الاحتراز عن الخطأ في فهم المراد من الكلام حتى يتوصل بذلك إلى معرفة الأحكام الشرعية من كلام الله تعالى وكلام رسوله على... ومنها: الاقتدار على إيراد المعنى الواحد بطرق متعددة توسُعًا في الكلام، ومتفاوتة في الوضوح؛ لأنه ربما يراد خطاب بعض السامعين بكلام لا يفهمه غيره، ولا يقتدر على ذلك كله إلا بمعرفة البيان ومراعاته "(").

السابع: البديع: علم يُعْرَفُ به وجوه تحسين الكلام المطابق لمقتضى الحال، ولم يعد الزمخشري (علم البديع) علمًا مستقلًا برأسه، بل جعله ذيلًا لعلمَي المعاني والبيان (٤)، والأوجه فيما يراه الدسوقي – أنْ يُعدَّ علمًا مستقلًا لتمايزه في موضوعه عن علمَي المعاني والبيان بالحيثية المعتبرة في موضوعات العلوم (٥).

ويُطلق على جملة المعاني والبيان والبديع: علم البلاغة، ولها وظيفتان: معرفة دقائق العربية وأسرارها، والكشف عن وجوه الإعجاز النظمي للقرآن العظيم، فبها يُعرف أن القرآن

٢) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: بهاء الدين السبكي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣ه –
 ٢٠٠٣م، ١/٧١.

\_\_\_\_

<sup>&#</sup>x27;) المرجع السابق، ص ١٢٥.

<sup>&</sup>quot;) اللؤلؤ المنظوم في مبادئ العلوم: محمد أبي عليان الشافعي، ص ١٣٧.

٤) ينظر: القسطاس في علم العروض: جار الله الزمخشري، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف، بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م، ص ١٦.

٥) ينظر: حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، دار الطباعة العامرة ببولاق مصر، ١٢٧١هـ، ١/٠٤.

مُعْجِزٌ (()، ونبوةُ النبي على مَبْنِيَّةٌ على دلالة معجزة القرآن، والنبي على وإن كان قد أُيّد بمعجزات كثيرة، اللا أن تلك المعجزات قامت في أوقات خاصة، وأحوال خاصة، وعلى أشخاص خاصة، وبعضها نُقِلَ متواترًا، وبعضها نُقِلَ غير متواترٍ، أما دلالة القرآن فهي عن معجزة عامة، عمت الثقلين، وبقيت بقاء العصرين (().

الثامن: العروض: وهو "علم يبحث فيه عن المركبات الموزونة من حيث وزنها. واعلم أن أول من اخترع هذا الفن الإمام الخليل بن أحمد. ولا حاكم في هذه الصناعة إلا استقامة الطبع، وسلامة الذوق، فالذوق إن كان فطريًا سليقيًا فذاك، وإلا احتيج في اكتسابه إلى طول خدمة هذا الفن"(؟).

التاسع: القوافي: "علم يبحث فيه عن تناسب أعجاز الأبيات وعيوبها. وغرضه تحصيل ملكة إيراد الأبيات على أعجاز متناسبة، خالية عن العيوب التي يتنفر عنها الطبع السليم، على الوجه الذي اعتبره العرب، وغايته الاحتراز عن الخطأ فيه، ومباديه مقدمات حاصلة من تتبع أعجاز أشعار العرب"(١٠).

العاشر: الإنشاء: "علم يبحث فيه عن المنثور من حيث إنه بليغ وفصيح، ومشتمل على الأداب المعتبرة عندهم في العبارات المستحسنة، واللائقة بالمقام... ومباديه مأخوذة من تتبع الخطب والرسائل، بل له استمداد من جميع العلوم، سيما الحكمة العملية، والعلوم الشرعية، وسير الكمل، ووصايا العقلاء، وغير ذلك من الأمور الغير المتناهية"(٥).

الحادي عشر: قرض الشعر، ويقال له: القريض، والنَّظْم، وهو "علم باحث عن أحوال الكلمات الشعرية، لا من حيث الوزن، والقافية؛ بل من حيث حسنها وقبحها من حيث إنها شعر. وحاصله تتبع أحوال خاصة بالشعر من حيث الحسن والقبح، والجواز والامتناع، وأمثالها" (^).

۱) ينظر: تلخيص المفتاح: محمد بن عبد الرحمن القزويني، مكتبة البشرى، باكستان، ط١، ١٤٣١ه – ٢٠١٠م،
 ص ٥.

٢) إعجاز القرآن: القاضي أبو بكر الباقلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٩٨ه ١١ ١٩٧٨م، ص٤، بتصرف، والعصران: الليل والنهار.

<sup>&</sup>quot;) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله، المشهور بكاتب چلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م، ١١٣٣/٢.

<sup>&</sup>lt;sup>3</sup>) المرجع السابق، ٢/١٣٠٥.

<sup>°)</sup> المرجع السابق، ١٨١/١.

<sup>&</sup>lt;sup>1</sup>) المرجع السابق، ٢/١٣٢٥.

الثاني عشر: الخط: ويقال له: فن الرسم والخط، وإملاء الخط، والكتابة، وهو: "علم بكيفية تصوير الألفاظ بحروف الهجاء وبالأحوال التي تعرضها في الكتابة" (()، "وهذا العلم من حيث نقش الحروف بالآلة من أنواع الخط، ومن حيث دلالتها على الألفاظ من فروع علم العربية" (().

الثالث عشر: علم التاريخ: وهو علم يبين أسماء مشاهير الناس، وأزمنتهم، وأمكنتهم، وأعمارهم، وأعمالهم، ولعل للتاريخ الإسلامي خصوصية أوجبت عده من العلوم العربية، ولذلك أبدله بعضهم بالمحاضرات "، يقول العلامة الدسوقي عن كون علم التاريخ من العربية: "والحق أنه ليس منه؛ لأن التاريخ ليس خاصًا بلغة العرب، فالأولى إبداله بعلم التجويد "(۱).

الرابع عشر: علم المحاضرات: يعنى بالنوادر في الفنون المختلفة التي يحاضر بها بعض الناس بعضًا في مسامراتهم في أو هو علم جُمِعَ فيه ما يطيب بذكره المجلس، ويتعجب منه الحاضرون بسبب ما فيه من الغرابة من جهة تركيبه أو من جهة معناه، أو بسبب كونه حكاية أمر غريب. ويكون بعض ما جمع فيه في العقايد، وبعضها في الأحكام العملية، وبعضها من المواعظ، وبعضها مُزَاحًا يضحك منه. ومن الكتب فيه: كتاب (ربيع الأبرار ونصوص الأخبار) للزمخشري، وكليلة ودمنة) لعبد الله بن المقفع في المعلية ودمنة.

#### إيضاحان:

أولًا: لعلم الأدب استعمالان: استعمال بالمعنى الأعم وهو المرادف للعلوم العربية، وبالمعنى الأخص ويراد به: "حفظ أشعار العرب وأخبارها، والأخذ من كل علم بطرّف، أي الأخذ من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط، ويُقصد منه الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب اللسان العربي ومناحيهم، وأصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين، وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي على القالي، وما

<sup>)</sup> دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون): القاضي عبد النبي بن عبد الرسول، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٦٢/٢.

٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، ١٦٩/١.

<sup>&</sup>quot;) الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية: حسين المرصفي، ٣٤/١.

<sup>&</sup>lt;sup>4</sup>) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني: محمد بن عرفة الدسوقي، ٢٧١/١.

<sup>°)</sup> الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية: حسين المرصفى، ٣٤/١.

<sup>&</sup>lt;sup>1</sup>) ترتيب العلوم: محمد بن أبي بكر المرعشي، الشهير بساجقلي زاده، تحقيق: محمد بن إسماعيل، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٠٨٨هـ – ١٩٨٨م، ص ١٨٧، بتصرف.

سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها"(١٠).

ثانيًا: إن قلت: أين كانت هذه العلوم في زمن الصحابة؟ أجيب بأنَّ الصحابة كانوا يعرفون العربية بالسليقة والممارسة، وما استُحْدِث إنما هو الاصطلاحات، والمصطلحات لا تدخلها البِدَع، يقول بهاء الدين السبكي في طالعة كتابه في البلاغة: "إن قلت: أين كان هذا العلم في زمن الصحابة الذين يعرفون أسرار العربية، وانكشف لهم أوجه الإعجاز؟ قلت: كان مركوزًا في طبائعهم"(").

فالصحابة كانوا يمارسون العربية، ويستخرجون الأحكام من النصوص، غاية الأمر أن هذه الممارسات العملية من الصحاية وتابعيهم استقرأها العلماء ودوّنوها فكان تدوين العلوم، فهل قولنا: المشهور أنَّ أول كتاب في أصول الفقه هو كتاب الرسالة للشافعي في يعني أنَّ الصحابة كانوا لا يعرفون دلائل ومضامين علم أصول الفقه؟ بالطبع لا، فالمستحدَث هو المصطلحات، والمصطلحات لا توصف بالبدع؛ لأنها ما وُضِعَت إلا لتدل على معنى خاص، إذ الاصطلاح إما لغوي أو عرفي، والعرفي إما عام أو خاص، وكلُّ هذا يدل على معانٍ معينة.

\_\_\_

١) مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ١١٣٨/٣، وما بعدها، بتصرف.

٢) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: بهاء الدين السبكي، ٢/٨٤

#### المطلب الثاني

## الارتباط بين اللغة العربية والهوية الإسلامية

اللفظ، والمعنى، والفكر، والدين) أربعة ألفاظ مترابطة، فالمعنى هو ما يُعنى ويُقصد من اللفظ، واللفظ كيفية مسموعة جُعِلَت بإزاء المعنى لتدلّ عليه، فالألفاظ قوالب المعاني، والفِكْرُ يُرتب المعاني إذ النفس تتحرك من اللفظ المجهول إلى المخزون الذهني الذي يحتوي على الأمور المعلومة لدى الإنسان، فتبحث فيها عن اللفظ المجهول حتى تُحصّل معلومات عنه، ثم تُرتب تلك الأمور المعلومة التي وصلت إليها لتصل إلى المعنى المجهول، مثلًا: تجهل معنى الإنسان، فتذهب إلى مخزونك الذهني من المعلومات، فتبحث فيها عن معناه، فتجد أنه كائنٌ حيّ لا جماد، وأنه عاقلٌ لا أعجم، وتُرتب تلك المعلومات، وتُقدّم الأعم على الأخص، حتى تصل إلى المجهول، وهو أنَّ الإنسان – باصطلاح المناطقة – حيوانٌ ناطقٌ، أي حيّ مُفكّر، وهذا تأويل العبارة القائلة: "النفس تتحرك من المقاصد للمبادئ لتُحصّلها، ثم تتحرك في ترتيبها، والحركة الأخيرة في الانتقال من المبادئ إلى المقاصد للمبادئ التحكير حديث نفسي، وقالوا: إن المرء يفكر في كلامه والاستدلال"\"، وهذا الارتباط الوشيج بين اللفظ والمعنى والفكر يدلُ على أنَّ "اللغة ليست ألفاظً وأوضاعًا للتفاهم فقط تصوتها الأفواه كما تصوت العجماوات؛ بل هي أيضًا مجموعة ميول وعواطف وتقاليد وعادات وهي تاريخ الأمة التي تنطق بها" \".

وأما علاقة اللغة بالدين فإنها مِنْ آكد ما يكون؛ لأنَّ فَهُم مراد الشارع مُتوقِّفٌ على فَهُم اللغة، "فالدين واللغة منذ النشأة الأولى متداخلان تداخلًا غير قابل للفصل، ومَنْ أَغْفَلَ هذه الحقيقة ضلً الطريق، وأوغل في طريق الأوهام"(١٠)، وهذه العلاقة بين اللغة والدين – أيًّا كان – يزداد ترابطها في الدين الإسلامي؛ ذلك "أن القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فَطَلَبُ فهمِه إنما يكون

<sup>)</sup> حاشية الأمير على شرح عبد السلام لجوهرة التوحيد للإمام اللقاني، مكتبة ذخائر الوراقين، القاهرة، ط١، ١٤٣٨هـ – ٢٠١٧م، ص ٨٧، وينظر: خلاصة القواعد المنطقية: د/ عبد الغفار عبد الرؤوف حسن، ص ١٤٣٨.

۲) مجلة الرسالة، العدد: ۹۷۰، السنة العشرون، ۱٤ جمادى الآخرة، سنة ۱۳۷۱هـ ـ ۱۰ مارس، سنة ۱۹۵۲م،
 مقال للأستاذ الدكتور / إبراهيم بيومى مدكور بك، بعنوان: الفكر واللغة، ص ٢٦٦، وما بعدها.

<sup>&</sup>quot;) مجلة الزهراء، الجزء الخامس، المجلد الأول، ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣هـ، مقال للأستاذ/ محمد عزة دروزة، بعنوان: الدعوة الإسلامية وشخصية العرب القومية، ص ٣٣٨.

<sup>&</sup>lt;sup>1</sup>) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا: الأستاذ/ محمود محمد شاكر، ص٧٢، وما بعدها.

من هذا الطريق خاصة" (۱)، ومن قواعد تفسير النصوص أنه "لا بد في فَهْم الشريعة من اتباع معهود الأُمّيين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإنْ كان للعرب في لسانهم عرف مستمر فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثَمّ عرف فلا يصح أنْ يجرى في فهمها على ما لا تعرفه" (۱).

ولندرك العلاقة التأثّرية بين اللغة والقرآن، وأيهما أثّر في الآخر: اللغة أثّرت في القرآن أم القرآن أثّر في اللغة، ننظر إلى البيئة الجغرافية للغة العربية قبل الإسلام وبعده، "فاللغة العربية قبل القرآن والسنة لم تكن تدور إلا في نطاق محدود بين العراق والحجاز شرقًا وغربًا، وتخوم الروم وبلاد اليمن شمالًا وجنوبًا، فإنَّ تتَقُلَ العرب كان محدودًا بهذه الجزيرة العربية، ولم يكن لها أثر يذكر في البلاد المجاورة كالفرس والروم والأحباش، ولكن الوثبة الإسلامية ساقت هذه اللغة إلى بلاد الصين شرقًا، والمحيط الأطلسي غربًا، في مدة لا تتجاوز القرن الأول الهجري بمقتضى الفتوح والدعوة الإسلامية، وهو انتشار قوي في سرعته، لم يعهد له نظير في أي لغة أخرى، بالإضافة إلى ظاهرة التأليف في العلوم المختلفة التي كانت عاملًا قويًا في انتشار اللغة العربية"(").

فالإسلام هو الذي نشر العربية، ولولاه لانْدَثَرت وانْمَحَتْ كما انمحى غيرها من لغات، إذ اللغة كائن حيِّ، يعتريها ما يعتري الإنسان من ضعف وقوة، وذبول وفناء، إلا إذا وُجِدَ ما يمنع ذهابها، وهذا المانع توفّر للعربية، وعَصَمَها من الفناء وإنْ أصابها الوهن والخمول في عصور مختلفة، وهو القرآن الكريم، فَيهِ بقيت اللغةُ العربيةُ قرونًا متعاقبة، وبه انتشرت في الآفاق، ومنه انطلقت الدعوة الإسلامية، وأثمرَت اتساع أرض الإسلام بالفتوحات الإسلامية، ولأجله ظهر التأليف في العلوم المختلفة الذي بدأ أول ما بدأ لخدمة القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وهو الجامع الذي ينطوي تحت لوائه المسلمون، وبتعبير الأديب إبراهيم اليازجي: هو الجامعة الجنسية أن ويؤكد ذلك الرافعي بقوله: "فلولا القرآن وأسرارُه البيانية ما اجتمع العرب على لغته، ولو لم يجتمعوا لتبدّلت لغاتهم بالاختلاط الذي وقع ولم يكن منه بدّ، حتى تنتقض الفطرةُ وتختبل الطباع، ثم يكون مَصِيرُ لفاته الم العقلة الذي العَفَاء لا محالة، إذ لا يخلفهم عليها إلا من هو أشدُ منهم اختلاطًا وأكثرُ فسادًا،

الموافقات في أصول الشريعة: أبو إسحاق الشاطبي، علَّق عليه: محمد عبد الله دراز، مكتبة الأسرة، مصر،
 ط۲، ۲۰۰٦م، ۲/۲۵.

٢) المرجع السابق، ٢/٨٨.

<sup>&</sup>quot;) مجلة البيان الكويتية، عدد: ٢٨، يوليو ١٩٦٨م، مقال للأستاذ/ عبد السلام هارون، بعنوان: علاقة الإسلام باللغة العربية، ص ٢٩، وما بعدها، بتصرف.

<sup>)</sup> ينظر: مجلة البيان، السنة الأولى، الجزء السادس، أول أغسطس سنة ١٨٩٧م، مقال للأستاذ/ إبراهيم اليازجي، بعنوان: اللغة والعصر (تابع)، ص ٢٥٢.

وهكذا يتسلسل الأمرُ حتى تَسْتَبْهِمَ العربيةُ فلا تُبِينُ وهي أفصحُ اللغات، إلا بضَرْبٍ من إشارة الآثار، وتنزل منزلة هذا الهيرُغليف الذي قَبَرَهُ المصريون في الأحجار، وأحيتْهُ هذه الأحجار "(١٠.

وتجاوز أثرُ الإسلام من كونه نَشَرَ العربية وزاد من زحفها إلى كونه أثرً في غيرها من لغات إما بالقضاء عليها وإما بالاقتباس من لغته، "فلقد بلغ من السلطان الديني للإسلام أن يمحو اللغة القبطية في مصر، التي كانت تطورًا من اللغة المصرية القديمة الحضارة، في زمن وجيز، وأن يقضي كذلك على لغة القرطاجيين وغيرهم في شمالي أفريقية، وعلى لغة النبط في شمالي العراق، وأن يقلص ظل اللغة الرومية من الأطراف الشمالية لبلاد الشام، كما استطاع أن يغيّر وجه اللغة الفارسية بمنحها أكثر من ٣٠ % من ألفاظها، وكذلك أمكن هذا السلطان أن يترك في جنوبي إيطاليا وصقلية وفي تركيا وأسبانيا وجنوب فرنسا أثرًا ظاهرًا دامغًا تتفاوت درجاته في القلة والكثرة"(٢).

فإنْ قلت: القرآن مسبوق بالعربية، فما الضير في القول بأنَّ العربية هي التي نشرت الإسلام؟ قلتُ: أُسلّم أنَّ القرآن مسبوق بالعربية لكن لا أُسلّم أنَّ العربية أتَّرت في القرآن؛ لأنه لا يلزم من قِدَم الشيء زمانيًا تأثيره في غيره، ولأنَّ القرآن وحيٍّ من عند الله، فانتشاره وتأثيره في غيره من هذا القبيل، وفي ذلك يقول الأستاذ/ عبد السلام هارون: "أما القول بأن اللغة العربية كانت سببًا في انتشار الإسلام فقول يحيطه التحفظ، فالإسلام إنما انتشر بمبادئه وأصوله الفطرية السليمة، يدل على ذلك هذه الملايين المسلمة التي لا تعرف من العربية قليلًا ولا كثيرًا، وهذه الآلاف التي تعتنق الدين الإسلامي من الأوروبيين والأمريكيين والإفريقيين والأسيوبين لا عن وراثة ورثوها، ولا عن أمة وجدوا عليها آباءهم، بل بالقراءة والتدبر في لغاتهم الأجنبية التي يطلعون بها على مبادئ هذا الدين الحنيف، على حين لا نجد هذه الأعداد في المعاصرين من معتنقي الديانات الأخرى إلا بالإرغام السياسي أو التبشيري المتطرف"؟

وعلى الجملة، لو افترضنا عدم وجود القرآن: فما الحبل الذي يعتصم به العرب، وقد توفرت لديهم دواعي الشقاق والافتراق؟! لا شيء سوى القرآن، فهو الرابطة الحقيقية التي ينضم تحت لوائها المسلمون، ولو افترضنا عدم وجود القرآن، أبقي للعربية وجود؟ كلا، بل لَلَحِقَها ما لَحِقَ اللغات

<sup>)</sup> تاريخ آداب العرب: الأستاذ/ مصطفى صادق الرافعي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط٢، ١٣٥٩هـ ـ ١٩٤٠م، ٢/٧٢.

<sup>&</sup>lt;sup>۲</sup>) مجلة البيان الكويتية، عدد: ۲۸، يوليو ۱۹۲۸م، مقال للأستاذ/ عبد السلام هارون، بعنوان: علاقة الإسلام باللغة العربية، ص ۳۰.

<sup>&</sup>quot;) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

المصرية القديمة، فَبَيْنَ القرآنِ والعربيةِ علاقة تلازمية، فالمحافظة على القرآن محافظة على العربية، العربية، والمحافظة على العربية محافظة على القرآن، وبذلك تدرك أنَّ القضاء على القرآن لا يكون بِجَمْعِ المصاحف وإخفائها عن المسلمين، بل بصدّهم عن العربية، فالصَّادُ عن العربية صادِّ عن سبيل الله.

فإنْ قلت: اتضحت العلاقة بين اللغة والفكر والدين، لكن أهناك علاقة بين اللغة والثقافة؟ أجيب بجواب جملي وجواب تفصيلي: أما الأول فإنَّ اللغة هي وعَاء المعارف جميعًا، والثقافة هي ثمرة المعارف جميعًا. والثاني بأنَّ بين الدين واللغة والثقافة تداخلًا غير قابل للفصل؛ ذلك أنَّ الثقافة تدل على طورين متكاملين:

الطور الأول: إسار التسخير، وجِمَاعُه كل ما يتلقاه الإنسان عن أبويه وأهله ومُعلّميه حتى يصبح قادرًا على أنْ يستقل بنفسه.

الطور الثاني: طلاقة التفكير، وهو مُنْبَثِقٌ عن الطور السابق، وذلك حين يبدأ العقل عمله في الاستقلال بنفسه، ويستبد بتقليب النظر والمباحثة وممارسة التفكير والتنقيب والفحص ومعالجة التعبير عن الرأي الذي هو نتاج مزاولة العقل لعمله، فعندئذ تتكون النواة الجديدة لما يمكن أنْ يُسمّى ثقافة).

والطريق إلى تحقيق ذلك هو اللغة والمعارف الأُوَل التي كانت في طورها الأول مصبوغة بصبغة الدين لا محالة، وعلى قدر شمول الدين لشؤون حياة الإنسان، وعلى قدر ما يُحصّل منه الناشئ، يكون أثرُهُ بالغ العمق في لغته التي يفكّر بها، وفي معارفه التي ينبني عليها كل ما يوجبه عمل العقل من التفكير والنظر والاستدلال...

بَأْنَ مما سبق، أنه لا يمكن الفصل بين اللغة والفكر والثقافة والدين، وأنَّ انبهارَ بعضِ المسلمين بالحضارة الغريبة، وتقديمَ لسانها على اللسان العربي، ليس إلا تعبيرًا عن انفصامٍ في الذات الحضارية، وانسلاخًا من الثقافة الأصيلة والالتحاق بحضارة أخرى. وقد أُدْرَكَ التبشير ذلك، وعَمِلَ على إشاعة لغته في البلاد الإسلامية، ويسَّر كلَّ السبل بالمنح المجانية وغيرها، لأنه يدرك أنْ نَشْرَ بساط اللغة ليس إلا بسطًا لثقافتها ومعارفها وهُويتها، ولا عيب في تعلُّم لغة تلك الحضارات إنْ كنَّا نُدْرِكُ ما يُحاق بنا، ويُدبَّر لنا.

-

<sup>&#</sup>x27;) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا: الأستاذ/ محمود محمد شاكر، ص ٧٣، وما بعدها، ملخصًا.

## المبحث الثانى

## الواقع اللغوى للدعاة

ثمة ارتباط بين الازدهار اللغوي والخطابي، فالعناية بالخطابة من ثمار العناية بالعربية، وإذا تتبعنا حال الخطابة في العصر الحديث نجد أنها في أوائله كانت مقصورة على الأغراض الدينية، ثم اتسعت دائرتها في عصر إسماعيل باشا، حيث جاء السيد جمال الدين الأفغاني إلى مصر، والتف حوله لفيف من الأدباء المصريين والسوريين، وتألفت أندية كانوا يتناوبون فيه الخطابة من الأمور الدينية والسياسية والاجتماعية، ومن حينها اشتهرت الخطابة على يد نخبة من العظماء كالسيد عبد الله النديم، ومحمد عبده، ومصطفى كامل، وسعد كامل، وعبد العزيز جاويش، وغيرهم(۱۰). واستمر ذلك الحال حتى بدايات النصف الثاني من القرن العشرين، حيث بدأت حالة من الضعف اللغوي والركود المعرفى، وتجلًى ذلك في مظاهر مختلفة شملت الدعاة وغيرهم:

## أ - في التعليم:

في المدارس والجامعات \_ وهي صفوة المجتمع \_ قلَّ من يتكلم الفصحى من المحاضرين، فضلًا عن الطلاب، وإن تكلَّم بها أتى بكلام ثقيل، يُشْبِهُ العربية، وانتقل هذا الضعف إلى معاقِل العربية، وصارت العُجْمَة صفة شائعة في المجتمع التعليمي.

ويصف لنا واحدٌ من أعلام العربية الحاضر اللغوي بقوله: "لم يعد خافيًا على أحد ذلك التدني الذي وصل إليه خريجو أقسام العربية في جامعاتنا خلال العقود الأخيرة، وهؤلاء الخريجون هم الذين يتولون تعليم أولادنا في المدارس، وهم أيضًا الذين يسمعوننا الكلمة العربية من خلال الإذاعة والتلفزيون، ولو ترك الأمر على ما هو عليه الآن فالله وحده هو الذي يعلم أبعاد الكارثة التي ستطبق على هذه الأمة، ونخشى أن تغشانا طوارقها ذات يوم وقد استحال تراثنا الذي ضني به الأوائل خلال أربعة عشر قرنًا من الزمان: ألغازًا وطِلَسْمات، كالذي تراه على جدران المقابر والمعابد ولفائف البردي، رموزًا قديمة تخفى على جمهرة الناس، ولا يعقلها إلا العالمون"؟.

وعامة الطلاب يستثقلون درس اللغة العربية، وعوَّضوا ذلك الفراغ بالإقبال على الأدب الرخيص، والروايات العامية، "إن إقبال كثرة التلاميذ على هذا الأدب الرخيص الذي يَخرُج في

-

<sup>)</sup> ينظر: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب: السيد أحمد الهاشمي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط٢٧، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م، ٢١٧/٢.

<sup>&</sup>lt;sup>۲</sup>) مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي، دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، ط۱، ۱٤۲۲هـ ـ ۲۰۰۲م، ص ۱۳۶.

العامية حينًا، وفي تلك العربية المنكَّرة الشائهة أحيانًا، وتهافتهم عليه، وافتنانهم به، وأخذ الأقلام بمحاكاته وتَرسُّمه، إنما هو أثرٌ من آثار ذلك البَرَم والاستثقال لدروس العربية وآدابها في معاهدنا المصرية" (۱).

## ب - في الإعلام:

تُستعمل الفصحى في بعض البرامج والنشرات الإخبارية، وبعض الأعمال الدينية والتاريخية، وعدا ذلك فباللهجة العامية، ولكل دولة لهجتها. ولم يقتصر الأمر على استعمال اللهجة العامية في الإعلام، بل صوَّرت بعضُ الأعمالِ الفنية اللغة العربية مُدرّسَ اللغة العربية في صورة رجل متخلف ظلامي، عاكف بين جدران متهدّمة، يُطالِع كتبًا متآكِلة، يقرأ فيها (إنَّ وأخواتها)، وصار مَثَلًا للتَّدر والتفكُّه، وغدت العربية منحصرة في شَكِلتك أمك)، وأمثالها، وخفى عنًا أنَّ الإيغال في ذمّ العربية إيغالٌ في البُعْد عن كتاب الله عَنْ.

### المظاهر العامة للضعف اللغوى:

من المظاهر العامة للضعف اللغوي:

# أ- العُجْمة في النَّظْم:

ليس الأَعْجَمِيُّ مَن وُلِدَ في بلاد غير العرب، وإنما "الأَعْجَمُ الذي لا يُغْصِحُ، ولا يُبيّنُ كلامَه، وإنْ كان عَرَبيَّ النَّسب" والعربية لا تتحصر في أن تُخْرِج لسائك في حرف الثاء والذال والظاء، ولا في أنْ تلوي شِدْقَك للتَّقَصُّح، والظاء، ولا في أنْ تلوي شِدْقَك للتَّقَصُّح، والظاء، ولا في أنْ تلوي شِدْقَك للتَّقَصُّح، نعم الالتزام بمخارج الحروف، والمعْرَب والمبني من العربية، إلا أنه جزءٌ منها، وتضييعُ الأجزاءِ الأخرى يُخْرِج الكلامَ عن معهود العرب في الخطاب، ومن معهودهم أنَّ البلاغة يُوصَفُ بها الكلام والمتكلم، فتقول: كلام بليغ، ومتكلم بليغ، ولا يُوصَفُ بها المفرد، فلا تقول: كلمة بليغة. ومفهوم ذلك أنَّ لِنَظْمَ الكَلِم، وإقامة التراكيب طريقةً خاصَّةً عند العرب، ويظهر ذلك بالنظر إلى كلامنا في عصرنا الراهن: تراكيب غير معهودة، ولا مستعملة عند العرب، كلامٌ قَذَفَهُ اللسان دون رابط ولا جامِع ولا فكر.

أما النَّظْم عند العرب فمأخوذ من نظم حبات اللؤلؤ في العِقْد، وهو الخيط الذي يُنْظِم فيه الخرز، فكما أنَّ كل حبة بجوار أختها في تراصِّ وتناسب، فكذا الكلام حيث "تؤلف كلماته مرتبة المعاني، متناسقة الدلالات، على حسب ما يقتضيه العقل، لا تواليها في النطق، وضمّ بعضها إلى

۲) لسان العرب: جمال الدين ابن منظور ، مادة: (عجم)، ۳۸٦/۱۲، دار صادر ، بيروت، ط۳، ١٤١٤هـ.

لمختار: عبد العزيز البشري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٣٥٤ه – ١٩٣٥م، ١٩٨١.

بعض كيفما اتفق"().

ولافتقاد ذاك المسلك، يقول الدكتور / عبد الله الطيب: "وقد كادت اللغة العربية نفسها تذهب الآن، وهذه الأشياء التي يزعم لها أنها لغة عربية فصيحة، إنما هي أمشاج مختلفة لا تمت إليها بصلة واشجة وثيقة، ولا تصلح وسيلة لدرس ميراثنا من الحضارة الإسلامية العظيم، ولا تصلح وسيلة لدرس القرآن، ومعرفة معجزته وعلومه، والانتفاع بموعظته وهداه والشفاء الذي فيه، ولدرس السنة وما معها من أصول وفقه وتوحيد وبركة ونور "(٢).

## ب- استجلاب الشرف باللغات الأجنبية:

شاع في المجتمع العربي أنَّ التكلم بالعربية دليلٌ على الجمود والتخلُف، وأنَّ تضمين المتكلم بعض الكلمات الأجنبية أمارة على التنوير والتقدُّم، مع أنه قد لا يحسن من الإنجليزية سوى بضع كلمات! والخطر في ذلك هو الانهزام اللغوي، والشعور بأن لغته غير جديرة في التخاطب والتحادث، ويدفعه هذا الشعور إلى التظلُّل بلغة أجنبية، والاستلحاق بها، وإنْ انساق وراء شعوره فيسعى للحصول على درجة علمية من دولة أجنبية، حتى في لغته وعقيدته، ويعود إلى وطنه رافعًا همته، مُصَعَرًا خده، ويقول: لقد حصلت على الدكتوراه في اللغة العربية؟ فتسأله: من أين حصلت عليها؟ فيجيبك: من أمريكا، ويجيب آخر: من بريطانيا! وهذا الشعور موجود من سنوات منصرمة، ولكنه في تصاعد مَخُوف، "وإذا كان الذين يتكلمون بهذه اللغة أشتاتًا متفرقين بين أمم سبقتهم في حلبة تنازع البقاء، كما هو ثابت بالعيان، فلا بدع إن كان مصير هذه اللغة إلى ما نراهُ من الانحطاط حتى صار أهلها يستنكفون من التكلم بها، ولا يعولون في قراءة العلوم التي نبغ فيها أسلافهم إلا على لغة أجنبية، فالذي يؤثر التعمق في علم الشريعة مثلًا لا يُعدّ بارعًا مستحقًا المشهادة إلا متى درس هذا العلم في اللغة الفرنسوية، وكفى بذلك برهانًا على انحطاط الأمة العربية في هذا العصر "‹٣٠.

## ج - الاستهانة بالآثار الأدبية:

ينكر أستاذ العربية محمود شاكر على العرب تقصيرهم في حق لغتهم، مؤكدًا أنهم تفردوا من بين جميع الأمم المتعلمة بِسِمَةٍ ميزتهم عن غيرهم، وهي أنهم الأمة التي تسيء إلى لغتها، ولا

<sup>&#</sup>x27;) مختصر المعاني: سعد الدين التفتازاني، ص ١٠، بتصرف.

<sup>&</sup>lt;sup>۲</sup>) مجلة الدوحة، عدد: ۱۰، ۱۹۸۱م، ، مقالة للدكتور / عبد الله الطيب، بعنوان: ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم في التعليم، ص ۱۰.

<sup>)</sup> مجلة البيان، السنة الأولى، الجزء الثاني عشر، ١٦ نوفمبر، سنة ١٨٩٧م، مقال للأستاذ/ إبراهيم اليازجي، بعنوان: اللغة والعصر (تابع)، ص ٤٦١.

تعتز بها، وتفقد الانتماء الحقيقي لها، "فلو أنت نظرت لما رأيت شعبًا من شعوب الأرض المتعلمة، يفعل بلغته ما نفعل نحن من التجاهل للآثار الأدبية وقلة الاحتفال بتزويد الناشئ بمادتها التي تحفظها لتكون أبدًا على مدّ الذاكرة وفي طلب اللسان، ولو أنت سألت أي متعلم من أهل الأمم الأخرى أن يُسمِعك من روائع شعر أمته ونثرها وحديث بلغائها لاحتفل لك بالكثير الذي تظن معه أنه إنما أعد لك الجواب لعلمِه أنك قد أعددت له السؤال، فلو أنت جئت بعد ذلك إلى أحد المثقفين المكثرين المتنفّذين من المتعلمين عندنا وسألته مثل ذلك لنَحا إليك بصره، فأتأر (۱) النظر، فابتسم، فضحك، فاستهزأ بك، فولاك ظهره، فمضى يعجب من غفلتك وحماقتك، وقلة عقلك "(۲).

وأجاد الأستاذ شاكر في وصف موقف المثقف المتنفخ، وصوَّر بدقة بالغة ردِّ فعل ذلك المثقف إزاء مَنْ يتكلم بالعربية الفصحى الذي ينتهي إلى استحقار كلّ مَنْ يتكلم بالفصحى، ورميه بالقِدَم والتخلُف، وليس ذلك إلا لأن اللغة العربية تنحدر إلى زمن غابر متطاول القِدَم، وكأن قِدَم الشيء علة موجِبة لذمه!

') أَتَأْر إليه النظر: أحدَّه. لسان العرب، مادة: (تأر)، ٨٧/٤، دار صادر ـ بيروت، ط٣، ١٤١٤ه.

<sup>&</sup>lt;sup>۲</sup>) مجلة الرسالة، السنة الثامنة، عدد: ۳۰۰، الاثنين ۱۶ ربيع أول سنة ۱۳۰۹هـ ـ ۲۲ إبريل سنة ۱۹٤٠م، مقال للأستاذ/ محمود محمد شاكر، بعنوان: الأدب في أسبوع، ص۷۰۲.

#### المحث الثالث

## مقوضات الازدهار اللغوى للدعاة

دراسة أسباب الشيء من أوائل طرق معالجته، ودقة تشخيص المرض مؤثّر في علاجه، وباستقراء عوامل إنهاك اللغة العربية في المجتمع الإسلامي عامة وللدعاة خاصة، نجد أنها تتمثل في عوامل داخلية، وأخرى خارجية:

#### المطلب الأول

#### العوامل الخارجية

تتمثل في الاستشراق، والتبشير، والاستعمار، وهذه الثلاثة فئات متكاملة: فالاستشراق فئة يَقِظَة، درست أحوالَ العالَم الإسلامي، لتعرف الضربة القاضية التي تصيبه في مقتل، ومهمته تبصير (الاستعمار) بحالة البلاد، وعندئذ تتمكن الفئة الثالثة (التبشير) من هدم الدين في نفوس الناس، ودعوتهم \_ صراحة وتلويحًا \_ إلى اعتناق دين آخر \_ إن أمكن \_، فالاستعمار حَلْقة وسطي، تسبقه واحدة تُبصّره بعوامل ضعف البلد المراد غزوه، وهي (الاستشراق)، ويليه الحلقة التي يناط بها أداء المقصود، وهي (التبشير)، ولئن خاض (الاستعمار) معارك حربية، فإنما يخوضها ليتمكن (التبشير) من مزاولة عمله(١٠).

أدرك هؤلاء أنَّ أفتك سلاح، لم يعد ميدان المعارك الحربية؛ إذ التهديد بالقتل، ليس في الأعم الأغلب مقنعًا لأِن يُغيّر المرء دينه، فولَّى وجهه شطر "طريق التعليم؛ لأن حاجة الناس إلى العلم لا تنقطع، وبخاصة في زمن اليقظة بعد الغفوة، هذه واحدة. والأخرى أن التعليم يضمن تنشئة أجيال صُبغوا على أيدي معلميهم بالصبغة التي يريدها الدهاة من أساتذتهم، وهو أخطر عامل في توجيه أفكار الصغار إلى الجهة التي يريدها المعلّم، فينشأ الطفل ويكبر حتى يصير رجلًا، فلا يحس في نفسه أنه قد طبع طبعًا جديدًا، يراد به استبقاء سيطرة الغازي عليه وعلى بلاده، وتدمير أمته بمسخه هو وأقرانه إلى عبيد يذللون الطريق لأقدام السادة الطغاة من حيث لا يدري أنه عبد مسخّر "(")، "وكان من قدر الله أن منارة العالم الإسلامي كله كانت في مصر، وهي الأزهر، فصار

-

<sup>)</sup> ينظر: المساجلات الفكرية بين الأستاذ محمود شاكر ومعاصريه: د. عبد الغفار عبد الرؤف حسن، المكتبة العمرية، دار الذخائر، القاهرة، ط١، ٢٠٢٦هـ – ٢٠٢١م، ص ٩٨.

أباطيل وأسمار: الأستاذ محمود شاكر، مكتبة الخانجي \_ القاهرة، ط٣، ٢٢٦هـ \_ ٢٠٠٥م، ص١٥١.

من الحتم المقطوع به أن تكون سياسة الغزو الأوربي موجهة إلى مصر قبل كل مكان في هذا العالم الإسلامي"(١).

وبعد أن أيقن الاستشراق أن الوسيلة الأسرع للقضاء على العالم الإسلامي واختراق ثقافته، هي تغريب تعليمه، وأن المكان الأمثل لانطلاقهم هو مصر، بحكم أنها للعالم الإسلامي منبت التعليم وعَلَمه "عَمِلَ في إصرار على إضعاف اللغة العربية، والتهوين من أمرها، وتحقير شأن القائمين عليها، وأثار حولها الزوابع والأعاصير، بأنها لغة معقدة، عقبة في طريق رقي مصر، وأن من الخير أن يتخذوا العامية لسانًا، ولم يقل لنا أي عامية نتكلم ... وهي دعوة سار على خطاها قلة من المثقفين، بعضهم مخدوع، والآخرون رأوا أنَّ السير وراء المستعمر ينتهي بصاحبه في نهاية المطاف إلى وظيفة مربحة أو منصب مرموق"(٢).

فإنْ قلتَ: ذَهَبَ الاستعمار عنَّا بجيشه، فمن الكسل والخُنُوع نسبة تقصيرنا إليه. قلتُ:

- 1. أُسلّم بأننا مقصّرون في حق لغتنا، وأننا لو كنا في حالة قوةٍ معرفيةٍ ولغويةٍ ما كان للاستعمار أثر، إلا أنّا نعيش في حالة مرضية، وهو ما أَسْمَاهُ مالك بن نبي بالقابلية للاستعمار.
- ٢. القوة اللغوية تستدعي العمل على جبهتين، جبهة داخلية بنشر اللغة، وجبهة خارجية عن طريق رصد المحاولات الخارجية التي تريد اختراق لغتنا، وصدها، والتحذير منها، والتقصير في ذلك مُحقّقٌ لأغراض الاستعمار.
- ٣. الاستعمار وإن رحل عنا بجيشه لكن له ذيول وأتباع، يعمل بعضها معه، وبعضها الآخر لا يعمل معه غير أنه متفق معه في غايته وأفكاره، فالمنحرف قد يتفق معه غيره، ويعمل مثل عمله، وإن لم يحدث بينها تلاق وتشاهد.
- الضعف الداخلي وفقدان المناعة الذاتية مجلبة ومكثرة لعوامل الضعف، والضعف الداخلي لا
   ينافي وجود عوامل خارجية تعمل على إضعاف اللغة العربية.

## آثار الاستعمار في حاضر اللغة العربية:

رحل الاستعمار عن البلاد الإسلامية بجيشه، لا بفكره، وفيما يلي أذكر بعض آثاره في اللغة العربية:

<sup>۲</sup>) مجلة أدب ونقد، العدد الثاني، السنة الأولى، فبراير ١٩٨٤م، مقال للدكتور / الطاهر أحمد مكي، بعنوان: مقالات الاستعمار والتخريب الثقافي، ص ٢٦، وما بعدها.

<sup>)</sup> المرجع السابق، ص١٢٩.

#### ١- انتشار المدارس الأجنبية في البلاد الإسلامية:

يتسارع بعض الأغنياء والطامحين إلى إلحاق أولادهم بالمدارس والجامعات الأجنبية في البلاد العربية، إمًا لضمان فرصة وظيفة، أو للسفر إلى الخارج، ومع قطع النظر عن الأغراض والدوافع فإنَّ الطلاب هذه المدارس يعيشون في ثقافة أجنبية، فيحيا مع فكرها، وتاريخها، وعاداتها، وتقاليدها، وتجري هذه الثقافة في عروقه ودمه، إذ يعيش معها نهارًا في المدرسة، وليلًا من خلال وسائل تواصل الشبكة العنكبوتية. أمًا بالنسبة لثقافته الإسلامية، فينشأ فارعًا منها، ومن لغتها، وتاريخها، وأمجادها، فمن حيث الجسد عربي، ومن حيث الفكر والروح أجنبي، ويصير هذا المسكين ممزَّق الهوية، فلا هو أجنبي خالص، ولا هو عربي خالص، ويصف اليازجي أثر هذه المدارس رغم قلتها آنئذ، بقوله: "فإنك تجد كل فريق منهم قد أُشرِب الميل إلى الأمة التي يدرس في المدارس رغم قلتها أنئذ، بقوله: "فإنك تجد كل فريق منهم قد أُشرِب الميل إلى الأمة التي يدرس في المدارس الإنكليزية مثلًا خرج ميله إنكليزيًا، وكذا من درس في المدارس الفرنسوية أو الطليانية أو غيرها، حتى تراهُ يباهي برجال تلك الأمة، ويتتبح بأخبار ملوكها وكبرائها وفضائل أهل العلم والشعر منها، ويقتبس كثيرًا من أخلاقها وعاداتها، ويتشبه بمشاهير أهلها، ومن يقع في نفسه منها موقعًا، وربما أشرِب عقائد بعض علمائها وفلاسفتها، إلى غير ذلك مما لا تكاد تفرقه فيه عن أحد، بل ربما بلغ من بعضهم أن ينزع إلى اللحاق بجنسيتها والانتظام في عداد تماده فيطلب مشاركتها في الوحدة المعنوبة"\(``\).

ولا نُمانِع من تعلُّم اللغات الأجنبية، واكتساب معارفها، ولكنًا ضد تدمير الهُوية الإسلامية بتربية النشء على معارف وأمجاد هُوية أخرى، وما نريده هو أن يتعلم الطالب لغته أولًا، وبعد ذلك يتعلَّم ما شاء من لغات أخرى.

## ٢ \_ ظهور دعوات هدامة لأتباعه: ـ

وجَّه بعضُ أنصارِ الاستعمار ومُحبّيه اتهامات للغة العربية، كاتّهامها بأنها لغة دينية وقديمة لا تصلح في التخاطب والتحاور، ودعوا أن يحل محلها اللهجة العامية (١٠)، ومن شواهد ذلك أنّ الأستاذ سلامة موسى رفض الأدب العربي كله بزعم أنه قديم، وينافي التجديد، ويمنع من

<sup>)</sup> مجلة البيان، أول أغسطس سنة ١٨٩٧م، مقال للأستاذ/ إبراهيم اليازجي، بعنوان: اللغة والعصر (تابع)، ص ٢٥٢.

لنظر: تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر: د/ نفوسة زكريا، دار نشر الثقافة بالإسكندرية، ط١،
 ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م، قال عنه الأستاذ محمود شاكر: (ولا أظنني قرأتُ أيضًا في الدَّهر كتابًا ينبغي لكل عربي وكل مسلمٍ أن يقرأهُ من ألفه إلى يائه يُضارِعُ هذا الكتاب).

الإبداع، وفَضَّلَ للأديب أن يكتب بأسلوبه الشخصي كيفما اتفق دون تقيّد بوزن أو قافية، ويرى أنَّ الأدب العربي يتسم ـ فيما يلوح له ـ بخصلتين من قديم، "إحداهما تمنع الأدب من التجدد، وتجعل الأديب يتلفت على الدوام إلى الوراء، يستوجي الماضي بدلًا من أن ينظر بعين الرجاء إلى المستقبل، أو بعين الثقة إلى نفسه، والأخرى تدفعه إلى بعثرة قواه في تحفظ العبارات الفخمة والألفاظ الجزلة، وفي اصطناع أسلوب مقترض غير أسلوبه الشخصي، فيذهب المعنى والمغزى فداء لبهرجة سخيفة توذي القارئ والكاتب معًا"(١).

وهذا الكلام أقامه الأستاذ سلامة موسى على مغالطة كبرى، وهي القِدَم والجِدَّة، فذَمَّ القديمَ؛ لأنه قديم، وامتدح الجديد؛ لأنه جديد، "وليس في الشعر قديم ولا جديد، ولكن فيه مزيف وصحيح"(٢).

وقد لاحظ أديب العربية/ مصطفى صادق الرافعي أنَّ تلك الغئة التي سافرت إلى فرنسا وإنجلترا وأمثالهما، انتحلوا المدنية الأوربية، ورجعوا ينكرون الميراث العربي كله في لغته وعلومه وآدابه، وحين قال الرافعي: لا فصاحة، ولا لغة، إلا بالحرص على القرآن، والحديث، وكتب السلف، وآدابهم، اعترضه أحدهم بأنَّ ابن المقفع فصيح بليغ، وهو مع ذلك ليس بمسلم ولا عربي، ولا شأن له بالحديث، ولا بالقرآن، ولا بالدين، فعلق الرافعي بقوله: "ولا أدري والله كيف يفهم هذا وأمثاله؟! ولكنك تتبين في عبارته مبلغ الغفلة التي تعتري هذه الغئة من نقص الاطلاع، وضعف الفكر، وبناء الأمر على بحث صحفي بلا تحقيق ولا تنقيب، وترى كيف يذهبون عن الأصل الذي يقوم عليه الغرض، ثم يحاولون أن يؤصلوا له على قدر عقولهم وأفهامهم، وقد تفلح الفلسفة في كل شيء إلا في تعليل ما علته معروفة، وهل نشأ ابن المقفع إلا على اللغة العربية، والأدب العربي، والرواية العربية؟! وكان من أقوى أسباب فصاحته المشهورة أخذه هذه الفصاحة، وهذا الأسلوب عن ثور بن يزيد الأعرابي الذي قالوا فيه: إنه كان من أفصح الناس لسانًا، ولكن أين من ينقب عن هذا ونحوه في تلك الجماعة، أو يتوهمه فيقف على حدّه"ن؟.

ولو تفحَّصت حال هؤلاء الذَّامّين للعربية لوجدت ميراث أغلبهم من العربية التي يرمونها بالقِدَم والجمود معدومٌ، مع أنَّ صحة الحكم تتوقف على تصوُّر المحكوم عليه، إلا أنَّ هؤلاء يخفون

<sup>&#</sup>x27;) اليوم والغد: سلامة موسى، سلامة موسى للنشر والتوزيع ـ القاهرة، ط١، ١٩٢٨م، ص٧٠.

<sup>&</sup>lt;sup>۲</sup>) مجلة أبولُو (القاهرة)، عدد: أكتوبر سنة ۱۹۳۲، مقال للدكتور/ زكي مبارك، بعنوان: الشعر العربي بين اليقظة والجمود، ص ۱٤۲.

<sup>&</sup>quot;) تحت راية القرآن: الأستاذ/ مصطفى صادق الرافعي، صحح أصوله تلميذه الأستاذ/ محمد سعيد العريان، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٧، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م، ص ٢٢، وما بعدها.

فراغهم بمصطلحات التجديد، والإبداع، والحداثة، وأمثال هذه الغوامض، يقول الرافعي: "وأشهد ما رأيت قط كاتبًا واحدًا من أهل المذهب الجديد يحسن شيئًا من هذا الأمر، ولو هو أحسنه لانكشف له من إحسانه ما لا يُبقي عنده شكًا في إبطال هذا المذهب وتوهيته، ولذا تراهم يعتلون لمذهبهم الجديد بالفن والمنطق والفكر وبكل شيء إلا الفصاحة، وإذا فصُحُوا جاءوا بالكلام الفج الثقيل، والمجازات المستوخِمة، والاستعارات الباردة، والتشبيهات المجنونة، والعبارات الطويلة المضطربة التي تقع من النفس كما تقع الكرة المنفوخة من الأرض لا تزال تنبو عن موضع إلى موضع حتى تمهد"(۱).

والحاصل أنَّ الاستعمار استبدل الحروب العسكرية بالحروب الثقافية، وعمادُ الثقافةِ اللغة، فإنْ انهدمت في نفوس أصحابها انهدمت الثقافة كذلك، وبهؤلاء الذين تفرَّغُوا من ثقافتهم فضلًا عن لغتهم حارب الاستعمار الثقافة الإسلامية ولغتها.

) المرجع السابق، ص ١٩.

العدد (٣٤) اصدار ديسمبر/٢٠٢١م - المجلد الثاني

#### المطلب الثاني

#### العوامل الداخلية

وتتمثل في العوامل التي ارتكبها أبناء العربية المسؤولون عن تعليمها، والحفاظ على سلامتها، ومن أهم تلك العوامل:

# ١- إهمال التوجُّه العام للغة العربية:

يُنظر إلى التوجُّه العام باعتبارين:

الأول: على مستوى الأمم: فقد قرَّر ابن خلدون أنَّ المغلوب مُولعٌ أبدًا بقليد الغالب، وذلك لِمَا يُخيَّل إليه أنَّ السبب في قوة الغالِب، ومن شواهد ذلك على مستوى الأفراد: فئة تُظُهِرَ فضلها ونظم وتقاليد(())، وهذا شامل للغة الغالِب، ومن شواهد ذلك على مستوى الأفراد: فئة تُظُهِرَ فضلها على غيرها، فتجري على لسانها بعضًا من عبارات الأمم المتقدمة تِقْنيًا، فيسعتمِل عربيِّ مثلًا كلمة (ok) لإظهار الموافقة على أمر ما، وعلى مستوى الأمم: أنَّ "الإنجليز تفوقت لغتهم على لغة الفرنسيين حينما أصبحت الإمبراطورية ملكًا باذخًا لا تغيب عنه الشمس، بعد أن كانت لغة الفرنسيين هي لغة أوربا، يتكلم بها الملوك في بلاطهم، ويتكلم بها معهم أفراد بطانتهم وأعضاء حاشيتهم "(())، وفي ذلك دلالة على أن الاحتلال اللغوي عاقب للاحتلال العسكري ولاحق له إنْ لم يكن مُصَاحِبًا.

الثاني: على مستوى الأمة الواحدة: قاضي العيان يحكم بأنَّ قائد الدولة، أيًّا كانت، متى الهتمَّ بأمرٍ تضافر أعوانه ووزراؤه ووسائل إعلامه على بسط ثقافة هذا الأمر، والتمدُّح به، وإغراء الناس على التزامه، فالتوجُهُ العامِّ غالبٌ، من هنا ارتبط الازدهار اللغوي وعدمه بمدى عناية رجال الدولة باللغة العربية وعلومها، وقد "كانت اللغة في خلال الأعصر الماضية تعلو وتضعف وتنتشر في أنحاء المعمورة على حسب كرم الدولة وعناية رجالها بالفنون الأدبية، فارتفع ذكرها حين كان الأمير سيف الدولة يباحث أبا على الفارسي في غوامض علم النحو، وينقد شعر أبي الطيب المتنبي بذوق لطيف، ويجازيه وغيره من الشعراء بغير حساب. وارتقى شأنها يوم قام القاضي منذر بن سعيد في مجلس الملك الناصر لدين الله عند احتفاله برسول ملك الروم في قصر قرطبة، وشرع

٢) مجلة الدوحة، العدد: ١٠٠، جمادى الثانية سنة ١٤٠٤ه - أبريل سنة ١٩٨٤م، مقال للأستاذ/ فتحي رضوان،

-

بعنوان: محنة اللغة العربية: انتهى الاحتلال العسكري، فمتى ينتهى الاحتلال اللغوي ؟!، ص ٤١.

١) ينظر: مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ١٢٦١/٣.

يخطب من حيث وقف أبو علي البغدادي، وانقطع به القول، فوصل منذر افتتاح أبي علي بكلام عجيب، وأطال النفس في خطبة مرتجلة، فخرج الناس يتحدثون ببديهيته المعجزة، وارتواء لسانه من اللغة الفصحي"().

فلولا سيف الدولة ما كان المتنبي، ولانْدَثَر كما تندثر مواهب كثيرة في مطاوي الزمن ومجاهيله، أما الاهتمام بالعلوم فإنه مثوى لتصيّد المواهب المغمورة، وإزكاءً للمواهب المشهورة.

## ٢ - تدني مستوى قبول الطلاب في الكليات العربية والشرعية:

يتوجَّه حَاصِلو أعلى الدرجات من الطلاب في بعض المجتمعات العربية إلى كليات الطب والصيدلة والهندسة واللغات وأمثالها، وما بقي من الطلاب أو لم يُدْرِك طموحَه قَذَفَهُ مجموعُ درجاتِه إلى الكليات العربية أو الشرعية، وترسَّخ في ذهن بعض العامة ما يُسمَّى بكليات القِمّة، وما عداها من كليات فينظرون إليها على أنها مثوى الضعفاء. ودافع هذه التصور هو تعلُّق الأمال بالالتحاق بوظيفة حكومية، فيظنون أنَّ كليات القِمّة مضمونة الوظيفة، وما عداها فمظنونة الوظيفة، ولكشف أسباب هذا محله (٢)، وما يعنينا هنا هو أن لهذا التصور أثرًا في ضعف العربية.

ولو نظرنا إلى الوراء قليلًا لوجدنا أنه "قِدْمًا كان الإقبال على درس العربية وعلومها وعلوم الدين عظيمًا؛ لأن ذلك كان سبيل التفوق في المجتمع، وقد خلف ذلك الإقبال القديم إقبال عصري جديد على الطب والهندسة والتقنيات الحديثة، فأقبل طالبو التفوق على هذه الأبواب من الدرس والتمهيد المهني، وانصرفوا عن فقه اللغة، وملأ الفراغ الذي تركوه أصناف من الطلاب أكثرهم ضعاف الذكاء والتحصيل، وهؤلاء عُهِدَ إلى عدد كبير منهم بتعليم العربية، وتخريج أبناء قوميتها الجديدة"(؟).

## ٣- التركيز على القواعد وإهمال الملكات:

. . .

<sup>)</sup> مجلة المنار، الجزء الثالث، المجلد الثالث عشر، ٣٠ ربيع الأول سنة ١٣٢٨هـ – ١٠ أبريل سنة ١٩١٠م، مقال للإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين، بعنوان: أطوار اللغة العربية، ص ٢١١.

<sup>&</sup>lt;sup>۱</sup>) ارتباط التعليم بالوظائف نشأ على يد (دنلوب) الذي تولى مقاليد التعليم بمصر إبان الاحتلال البريطاني، وكان لسياسة التعليم في عهد الاحتلال غرض صريح، هو تخريج عدد من الشبان لتغذية مصالح الحكومة بموظفين صالحين لتولي وظائفها. ينظر: على هامش السياسة (بعض مسائلنا القومية): د. حافظ عفيفي باشا، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٨م، ص ٥٨.

<sup>&</sup>quot;) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد: ٧٣، الجزء: ٣، ربيع الأول ١٤١٩هـ يوليو ١٩٩٨م، مقال للدكتور: عبد الله الطيب، بعنوان: مشكلة الأداء في اللغة العربية، ص٥٣٦.

من مثارات العجب أن تجد مُعلّم النحو يلقي دروسه بالعامية، وأن ترى أستاذ النحو لا تستقيم لغته، في حين أن تجد ممثّلًا يتكلم بالعربية لا يكاد يخطئ. وسبب ذلك أن اللغة ملكة، أي: هيئة راسخة في النفْس، والملكة لا تُكتسب بالقواعد فحسب، وإنما بالمرانة والممارسة والتّكْرار، والممثّل قد زاول اللغة وحفظ أدواره فاكتسب الملكة، خلاف مَن حفظ القواعد ولم يزاول اللغة.

ولإيضاح أن اللغة ملكة يُقرّب الشيخ/ محمد عرفة ذلك بمثالِ "العامل الذي يَصُفُ الحروفَ للطبع، فإنه إذا كان مبتدئًا واقتصر على العلم بأمكنة الحروف، وأراد بعد هذا العلم الساذَج أن يصف حروف كلمة، اقتضاه ذلك من التفكير والجهد والزمن ما ليس بالقليل، وربما انقضى اليوم ولم يَصُف إلا بضع كلمات. أما إذا تجاوز ذلك إلى أن صار ملكة، فإنك ترى يده تلقُط الحروف من هنا ومن هنا، وفكره يسبق يده، ويده تسبق فكره، حتى يَصُف في الدقيقة عدة كلمات "(١).

وبذلك ندرك سرَّ نفور بعض الطلاب من العربية، وثِقَلها عليهم، وبُغْضهم لها وربما لأساتذتها، وهو قيام تعليم العربية على القواعد الجافة، فيحفظ الطالب قواعد لا يرى لها أثرًا في مخاطباته اليومية، ويكون كمن تعلَّم الطب من خلال المحاضرات النظرية دون أن يلاحظ ما تعمله على مريض قط، وإنما هي قواعد انطبعت في ذهنه مما تعلَّمه من كتب، ورسومات للأمراض وأعراضها صُوّرت في تلك الكتب.

ولا يَرِدُ على ما سبق هجْرُ القواعد، فغاية ما نريده هو أن تكون عنايتنا بحفظ كلام فصحاء العرب نظمًا ونثرًا ومدارسته أكثر من عنايتنا بحفظ القواعد، وقد قيل: القواعد عصا الأعمى، والملكة هي العلم كما يقول العلامة الكشميري في مقالته: "إنْ وجدت النووي مثلا يتكلم في حديث، والترمذي يحسّنه، فعليك بما ذهب إليه الترمذي، ولم يُحْسِن الحافظُ في عدم قبول تحسين الترمذي؛ فإنَّ مبناه على القواعد لا غير، وحكم الترمذي يبنى على الذوق والوجدان الصحيح، وإنَّ هذا هو العلم، وإنما الضوابط عصا الأعمى"(").

## ٤- إهمال الكتب الصانعة للملكات:

نشأ الضعف اللغوي في عصرنا الحديث يوم أنْ هُجِرَت الكتب الصانعة للمَعْرِفة، وبدأ

العدد (٣٤) اصدار ديسمبر/٢٠٢١م - المجلد الثاني

<sup>)</sup> مشكلة اللغة العربية، لماذا أخفقنا في تعليمها، وكيف نعلمها: الشيخ/ محمد عرفة، تقديم: أ.د/ حسن الشافعي، أ.د/ نظير محمد عياد، هدية مجلة الأزهر، جمادى الأولى سنة ١٤٤٢هـ – ديسمبر ويناير ٢٠٢٠م، ص

<sup>)</sup> فيض الباري على صحيح البخاري: محمد أنور شاه الكشميري الهندي، تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، ٢١٦/٦.

الاعتماد على المذكرات القاتلة للملكات العلمية باسم تجديد العربية وتسهيلها على الطلاب، وإلى تلك المناحي من التجديد يقول الأستاذ محمود الطناحي: "إنَّ تيسير النحو قد سلك دروبًا مظلمة، فليس من التسهيل والتيسير أن تدع (زيدًا وعَمْرًا) في التمثيل لتقول: (سمير وأشرف)، وليس من التسهيل أن تترك التمثيل على القاهدة النحوية بالشاهد القرآني والحديثي وأشعار العرب وأمثالها لتكتب قصة متكلفة عن نزهة في القناطر الخيرية، أو زيارة إلى أهرامات الجيزة، أو حكاية عن فلاح في الحقل، لتستخرج من كل ذلك شواهد على القواعد النحوية والصرفية"(۱).

ولا نمنع من كتابات المحدَثين إنْ قامت على تجديد حقيقي، أما أنْ نردّ الكتبَ القديمة المؤسّسة للعلوم، ونستعيض عنها بمذكرات مشوهة، كل ما فيها من جديد هو تغييرٌ في الأمثلة، أو إكثارٌ من النقول المتضاربة، أو تغييرٌ في الأغلفة، أو تقديمٌ وتأخير، أو حذفٌ واختصار، فليس من التجديد أو التيسير بسبيل، وإنما هو كعروس ضُرِبَ وجهها بمساحيق مختلفة فصارت شوهاء أو كالشوهاء، وفي ذلك يتساءل الأستاذ/ محمود الطناحي بتحسُّر: "ماذا يتلقى طالب العربية الآن في كليات اللغة العربية وأقسامها بالجامعات؟ أمشاج من قواعد النحو والصرف مطروحة في مذكرات يمليها الأساتذة إملاء أو يطبعونها طبعات تزيد عامًا وتنقص عامًا، واختفى الكتاب القديم لتحل محله المذكرات والمختصرات، ودفع الطلاب دفعًا إلى الملل من قراءة الكتب، والمللُ من كواذب الأخلاق، كما قال عمرو بن العاص رضى الله عنه"‹›.

#### ٥- ضعف النظام التعليمي:

إنْ قلت: تُعنى العملية التعليمية في الجانب اللغوي بعدة أمور، أهمها: اللغة، والطالب، والمعلم، والبرامج التعليمية، فأيها المتسبّب في ضعف الطلاب في اللغة العربية ؟ يقال: ننظر في كل احتمال:

أمًّا اللغة، فبلغ من اهتمام العلماء بها أنْ جعلوها اثني عشر علمًا كما مرَّ، وجعلوا المؤلفات في كل علمٍ منها على درجات، مؤلفات للمبتدئين، وأخرى للمتوسطين، وثالثة للمُئتَهين، ففي النحو مثلًا ألفوا الآجرومية للمبتدئين، وفوقها قطر الندى، وشنور الذهب لابن هشام، وفوق ذلك الألفية لابن مالك، فالعلم على درجات ومراتب. ثم ما معنى ضعف اللغة؟ هل يعني أنَّ اللغة أصابها الهَرَم، وغدت لا تجاري أحوال العصر؟ إنْ كان ذلك فإنَّ "معنى الهرم في اللغة أن يَحْدُثَ عند المتكلمين بها معان قد خلت ألفاظها عنها، ثم تضيق أوضاعها عن إحداث ألفاظ تؤدَّى بها

<sup>&#</sup>x27;) مقالات العلامة محمود محمد الطناحي، ص ١٣٨.

<sup>&</sup>lt;sup>۲</sup>) المرجع السابق، الصفحة ذاتها.

تلك المعاني، فيطرأ على اللغة النقص حينًا بعد حين، إلى أن تعجز عن أداء أغراض أهلها، ولا تبقى صالحة للاستعمال، وحينئذٍ فلا يبقى إلا أن يُلْقَى حبلها غلى غاربها، أو يستعان بغيرها على سدّ ما عرض فيها من الخلل بما يغيّر من ديباجتها، وبنكّر أسلوب وضعها حتى تتبدل هيئاتها على الزمن، وتصير على الجملة لغةً أخرى"(١٠).

واللغة العربية ليست بهذه الحال؛ لاشتمالها على الاشتقاق وغيره من طرق الوضع، مما يجعلها قادرة على تحمّل المعاني المستحدَثة، وإذا وَسِعَتْ العربِيةُ كتابَ اللهِ، أَتَعْجِزُ عن سَعَةِ غيره؟! وفي ذلك يقول حافظ إبراهيم على لسان اللغة العربية(٢):

- وسعتُ كتاب الله لَفْظًا وغايةً وما ضقْتُ عن آي به وعظات
- فكيف أضيقُ اليوم عن وصف آلة وتنسيق أساء لمُخْرَعات
- أنا البَحْرِ فِي أَحْشَائِهِ اللَّهُ رُّكَامِنٌ فَهِلْ سَأَلُوا الْغَوَّاصُ عِن صَدَفاتي

وأمًا الاحتمال الثاني، وهو الطالب، فإنه ثمرة للتعليم، فالطالب الجيد ثمرة للتعليم الجيد، والطالب الضعيف ثمرة للتعليم الضعيف، وشاهدُ الحس يحكم بضعف غالب الطلاب في العربية، وفي هذا دلالة على أنَّ التعليم الذي قُرِّم لهم يشوبه ضعف، وحينئذٍ "فلا يجب أن نقسو كثيرًا على الشباب، فَهُم البذور التي ألقيت، والتعليم الذي أعطي لهم، ومجالات الثقافة التي تلقوها"(٣).

وأمَّا الاحتمال الثالث، وهو المعلّم، فأُقرّر ثلاثة أمور:

الأول: للمعلّم أثرٌ خطيرٌ في قوة الطلاب أو ضعفهم.

الثاني: المعلّم الضعيف لا يُنتِج إلا ضعفاء، طبقًا للقاعدة المنطقية القائلة: متى كانت إحدى المقدمتين سالبة كانت النتيجة سالبة.

الثالث: المعلّم الجيد يُخرّج طلابًا أقوباء في الغالب؛ لأنه لا يلزم من قوته قوة الطلاب؛ فقد يُلْزَم المعلّم بتدريس كتاب لا يناسب مستوى الطلاب، أو بكتاب لا يصنع فيهم الملكة العلمية، وقد يُغَلُّ بمنهج لا يتسع له الوقت المحدد لتدربس المادة، فقوةُ المعلِّم وحدها لا تكفى لإنتاج طلاب أقوياء؛ لأنَّ "الذي يبنيه الأستاذ في الفصل يُهْدَم خارجَه في البيت وفي الشارع؛ بل إنَّ بعض

<sup>&#</sup>x27;) مجلة البيان، السنة الأولى، الجزء الرابع، أول يونيو سنة ١٨٩٧م، ، مقال للأستاذ/ إبراهيم اليازجي، بعنوان: اللغة والعصر ، ص ١٤٧ ، وما بعدها.

٢) ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه: أحمد أمين، وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٨٧م، ص ٢٥٣.

<sup>&</sup>quot;) مقالات العلامة محمود محمد الطناحي، ص ١٣٧، وما بعدها.

مُدرّسي العلوم الأخرى يتحدثون مع تلاميذهم بلغة عامية، ويقبلون منهم الإجابة بها متى أدت إلى المطلوب، وينشأ من ذلك ما تراه من استهانة التلاميذ بلغتهم الأصلية، ولا يتعودون التجويد، ولا العناية متى كان دون ذلك يُقبل منهم، وما حيلة أساتذة اللغة العربية وحدهم، وهم يبنون وغيرهم يهدم؟!"(\).

ومتى فسد احتمال ضعف اللغة والطالب والمعلّم، تعيّن الاحتمال الأخير، وهو البرنامج التعليمي، فإليه يُسنَدُ الضعف؛ لأنه المحدّد للمُدرّس، والكِتاب، وطريقة تدريس الكتاب، فضعف الطالب والأستاذ بعضٌ من جزئيات أمر كلي، وهذا الأمر الكلي هو البرنامج التعليمي.

ولما أَسْنَدَ أحدُ الكُتَّابِ الضعف في اللغة إلى الطالب والمعلّم، نَقَدَهُ الأستاذ محمود محمد شاكر مُبيّنًا أنَّ "أسباب ضعف النشء في العربية ليس يُردُّ إلى المعلم والكتاب، بل مرده إلى المنهج الذي يُقيّد المعلم بقيود كثيرة ترفع عنه التبعة في نتيجة التعليم، ويقيد الكتاب بمثلها، ويُعطى النشء ما لا يصلُح عليه لسان ولا يستقيم به تعليم لغة"(").

وحين رأي الأستاذ/ أحمد أمين أنَّ جزءًا كبيرًا من ضعف اللغة العربية يرجع إلى المعلّم "، تعقّبه الأستاذ محمد سعيد العربان، بقوله: "أراني أشارك الأستاذ في قوله: (إن معلّم اللغة العربية في المدارس على اختلاف أنواعها عليه أكبر واجب وأخطر تبعة، وبمقدار قوته أو ضعفه تتكون \_ إلى حد كبير \_ عقلية الأمة)، ولكني مع ذلك لا أشاطره الرأي بأن جزءًا كبيرًا من ضعف اللغة يرجع إلى المعلمين، فما المعلمون في مدارسنا، إلا أدوات عاملة بغير إرادة: ليس لهم حرية في العمل، ولا خيرة في الطريقة، ولا فكرة في التنفيذ؛ وإنما يشرع لهم الشارع في وزارة المعارف، وعليهم الطاعة العمياء، والإرادة الخرساء، قد يكون عيبًا في المعلم أن ينزل عن رأيه بهذا الهوان؛ ولكنه يريد أن يعيش..."(٤٠).

والحاصل أنَّه قد يوجد في المعلّم بعض القصور، وقد يوجد في الكتب الدراسية مثل ذلك، ولكن السبب الأم في الضعف اللغوي هو منهج السياسة التعليمية:

العدد (٣٤) اصدار ديسمبر/٢٠٢١م - المجلد الثانى

<sup>&#</sup>x27;) مجلة الرسالة، السنة الخامسة، عدد: ٢١٠، ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٦هـ ـ ١٢ يوليه ١٩٣٧م، مقال للأستاذ/ عويس القرني، بعنوان: بعض أسباب الضعف في اللغة العربية، ص ١١٤١، وما بعدها.

<sup>&</sup>lt;sup>۱</sup>) أباطيل وأسمار: الأستاذ/ محمود محمد شاكر، ص٦٠٢.

<sup>&</sup>quot;) ينظر: مجلة الرسالة، السنة الخامسة، عدد: ٢٠٨، ١٩ ربيع الثاني سنة ١٣٥٦هـ ـ ٢٨ يونية ١٩٣٧م، مقال للأستاذ/ أحمد أمين، بعنوان: الضعف في اللغة العربية، ص ١٠٤٢.

<sup>&</sup>lt;sup>3</sup>) مجلة الرسالة، السنة الخامسة، عدد: ۲۱۰، ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٦هـ ـ ١٢ يوليه ١٩٣٧م، مقال للأستاذ/ محمد سعيد العربان، بعنوان: الضعف في اللغة العربية، ص ١١٣٠.

- ١. فضعفُ المدرّسين، مسؤولٌ عنه النظام التعليمي؛ لأنه هو الذي ضمَّهم إلى هيئته التدريسية.
- الكتب التي لا تُنمّي في الطلاب الملكة العلمية، ولا تصنع فيهم ملكة الفهم والنقد، وتنتهي فائدتها إلى شحن عقولهم بمعلومات متناثرة، مسؤولٌ عنها النظام التعليمي.
- ٣. وجَرَبان التعليم على غير منهج يوصل إلى غاية مرادة ومحددة ومعلنة، مسؤولٌ عنها النظام التعليمي، ف "إذا كانت غاية المدرسة تخريج "المتعلم القارئ" وقد شبعنا من خرافة "تخريج المواطن الصالح"، فلا مواطن صالح إذا كان أميًا! فوزارات التربية والتعليم العربية كلها مخفقة في هذا كل الإخفاق؛ لأنها لا تخرج غير حامل "شهادة فك الأمية". ثم يخرج هذا "المفكوك الأمية" ليغلق الكِتَاب بعد ذلك إلى الأبد؛ لأن كتب المدرسة، وأساليب المدرسة وإرهاق البصر... قد كرهت إليه كل كتاب، ولأن معلم المدرسة قد كره إليه كل فكر، كما أن المعلم نفسه في هذا المدى الطويل قد كره الطالب والكتاب والمعرفة معًا"().
  - ٤. وإهمال الجانب التطبيقي مسؤول عنه النظام التعليمي.

<sup>)</sup> مجلة الأديب، السنة ٣١، الجزء الرابع، أبريل سنة ١٩٧٢م، مقال للأستاذ/ عيسى الناعوري، بعنوان: لماذا نحن شعب لا يقرأ؟، ص٤.

### المبحث الرابع

### عوامل تنمية الملكة اللغوية للدعاة□

العنايةُ بالعربيةِ عنايةٌ بالقرآن الكريم؛ لأنَّ فَهْمَ القرآن متوقّف على فَهْم العربية، وهذا سرّ عناية علمائنا بالعربية، وفيما يأتى أذكر بعض طرق الارتقاء بها:

#### ١- العودة إلى الكتب الصانعة للملكات:

### لا بد من معرفة أمرين:

أولهما: كَتَبَ عُلماؤنا العِلم على ثلاثة مستويات أساسية: المستوى الأول للمبتدئين، والثاني للمتوسّطين، والثالث للمُنتهين أن ففي علم البلاغة وجدنا (البلاغة الواضحة) لعلي الجارم ومصطفى أمين، و(حلية اللب المصون شرح الجوهر المكنون) للدمنهوري، و مختصر المعاني) لسعد الدين التفتازاني، يليه المطول)، للسعد كذلك، وفي علم الكلام كَتَبَ السنوسي السنوسي السنوسية الكبرى)، و(الوسطي)، و(الصغرى)، و(صغرى الصغرى)، وفي أصول الأحناف كان المختصر المنار) لابن حبيب الحلبي، ثم المنار) لأبي البركات النسفي، وفوقهما اكشف الأسرار عن أصول البزدوي) لعبد العزيز البخاري، و التلويح على التوضيح) للسعد، فالعلم على درجات ومراتب.

ثانيهما: اعتمد علماؤنا في كل فن كتبًا معينة، وغرضهم من ذلك بناء ملكة علمية راسخة في نفس الطالب، فليس كلُّ كتابٍ صانعًا للملكة العلمية، فمثلًا في علم التفسير لم يُقرّر الأزهر تفسير ابن كثير مع عظمه، وذلك لأنه لا يُنْشِئ في الطالب الملكة العلمية، بخلاف تفسير النسفي والبيضاوي مثلًا، وفيما يأتي أهم الكتب التي اعتمدها الأزهر في الجانب اللغوي والتي يحتاج إليها الداعية:

### أولًا: علم النحو:

ا) (التحفة السنية بشرح المقدمة الآجُرُّوميَّة)، لسيد المحققين/ محمد محيي الدين عبد الحميد، وهو مناسب للمبتدئ عن (شرح الكفراوي على متن الآجرومية) لحسن بن علي الكفراوي وإن كان مُعلَّمًا للإعراب، وعلى الأخير حاشية لإسماعيل الحامدي، وهو من الميسترين لعبارات العلماء.

<sup>)</sup> الفرق بين هذه الثلاثة أنَّ المبتدئ هو مَن ليس له قُدْرَةٌ على تصوير مسائل الفن الذي يقرأ فيه، فإن قَدِرَ على ذلك فمتوسط، وإن قَدِرَ على إقامة دليلها فمُنْتَهِ. إيضاح المبهم من معاني السلم: العلامة أحمد عبد المنعم الدمنهوري، تحقيق: د. مصطفى أبو زيد، دار البصائر، القاهرة، ط٣، ٤٣٤ه – ٢٠١٣م، ص ٥٠.

- ٢) (شرح الأزهرية)، لخالد الأزهري، وعليه: (تنقيح الأزهرية)، لمحمد محيي الدين عبد الحميد، و (شرح الأزهرية الجديد)، تأليف الأساتذة: عبد اللطيف خليف، وإبراهيم عبد الوهاب، ومحمد محمد عباسي، وعلي علي كرسون، وللشيخ خالد كذلك (المقدمة الأزهرية)، و (التصريح بمضون التوضيح).
  - ٣) (شرح قطر الندى)، و(شرح شذور الذهب)، كلاهما لابن هشام.
- إلخلاصة في علم النحو) ألفية ابن مالك -، ومن أشهر شروحها: (شرح ابن عقيل)،
   و(أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك) لابن هشام.
- ه) (الاقتراح في علم أصول النحو) لجلال الدين السيوطي، و (همع الهوامع شرح جمع الجوامع) له كذلك، وجمع الجوامع السابق خلاف جمع الحوامع لتاج الدين السبكي في علم أصول الفقه.
  - ٦) (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) لابن هشام، و(الكتاب) لسيبويه.

### ثانياً: علم الصرف:

- ا) (عنوان الظرف في فن الصرف)، لهارون عبد الرازق، و (دروس التصريف) لمحمد محيي الدين عبد الحميد، و (الجامعة الصرفية) لمحمد خليل الخطيب، و (المغني في تصريف الأفعال)، و (اللباب في تصريف الأفعال)، كلاهما لمحمد عبد الخالق عُضَيمة.
- ٢) (شرح تصريف العِزّي) للشريف الجرجاني، وشرحه سعد الدين التفتازاني، و (شرح شافية ابن الحاجب) لرضى الدين محمد بن الحسن، المعروف بالرضى.

#### ثالثاً: علم البلاغة:

- 1) (دروس البلاغة)، لحفني ناصف، ومحمد دياب، وسلطان محمد، ومصطفى طموم، أو (علوم البلاغة)، أحمد مصطفى المراغي، أو (الجوهر المكنون) لعبد الرحمن الأخضري، ومن شروحه: (حِلية اللَّب المصون) لأحمد بن عبد المنعم الدمنهوري.
- ٢) (أسرار البلاغة)، و(دلائل الإعجاز)، كلاهما لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني، طُبِعَا بتحقيق: محمد رشيد رضا، وبتحقيق: محمود محمد شاكر، وبتحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي. وقيل عن هذين الكتابين: (بَحْرَان تنشعب منهما العيون) (١).
- ٣) (مفتاح العلوم) لأبي يعقوب يوسف السكاكي، في النحو والصرف والبلاغة، وقد أحدث السكاكي منعطفًا في علم البلاغة؛ حيث اعتنى بتهذيب العلم وترتيب مسائله، فاهتم

.

<sup>&#</sup>x27;) أبجد العلوم: صديق بن حسن القنوجي، ١٢٦/٢.

المتأخرون بجزء البلاغة من كتاب المفتاح، وأفردوه بالتأليف، ومن أشهر ملخصاته: (تلخيص المفتاح) لجلال الدين القزويني، ومن أشهر شروح هذا التلخيص شرح السعد التفتازاني المعروف بـ (المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم)، ثم اختصر السعد هذا المطول في كتاب يُسمَّى بـ (مختصر المعاني)، ومن أشهر الحواشي على مختصر المعاني (حاشية الدسوقي)، ولو اعتكف الداعية على مختصر المعاني وحاشية الدسوقي عليه لكان في العربية والأصول عظيمًا.

الرسالة السمرقندية في الاستعارات)، لأبي القاسم بن أبي بكر الليثي السمرقندي، وعليها شروح وحواش كثيرة يختار الداعية واحدًا منها، وهي: (عقد الدرر البهية في شرح الرسالة السمرقندية) لأبي العباس أحمد بن عبد لفتاح الملوي، و(شرح الملوي الصغير على الرسالة السرقندية)، و(حاشية الصبَّان على شرح الملوي على السمرقندية)، و(تحقيقات أحمد البيلي على شرح الملوي الصغير على السمرقندية)، و(حاشية الأمير على الشرح الصغير للملوي على السمرقندية) لمحمد الأمير الكبير، و(تقرير الأنبابي على حاشية الأمير على شرح الملوي الصغير على السمرقندية)، و(فتح وهاب العطية على شرح الملوي الصغير على السمرقندية) لحسين بن سليمان الرشيدي، و(حاشية العروسي على شرح الملوي الصغير على السمرقندية)، و(حاشية الباجوري على السمرقندية)، و(القط الجواهر السنية على الرسالة السمرقندية) لمحمد الدمنهوري.

### رابعاً: علم متن اللغة:

- المختار الصحاح) لمحمد بين أبي بكر الرازي، اختصره من كتاب (تاج اللغة وصحاح العربية)
   للجوهري، ولا غنى للداعية عن هذا المختصر.
  - ٢) (معجم مقاييس) اللغة لأبي حسين أحمد بن فارس.
- ٣) (لسان العرب) لابن منظور، جمعه من خمسة مصادر أساسية، وهي: (تهذيب اللغة) لأبي منصور الأزهري، و(المحكم والمحيط الأعظم) لابن سِيدَه، و(تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري، و(حواشي ابن بري على صحاح الجوهري)، و(النهاية في غريب الحديث والأثر) لعز الدين ابن الأثير.
- القاموس المحيط) لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، و(تاج العروس من جواهر القاموس)،
   لمحمد مرتضى الزبيدي.

خامسًا: علم الإملاء (الخط):

(الإملاء)، و(تمرين الإملاء)، و(مختصر الإملاء والتمرين) ثلاثة كتب لحسين والي، و(خلاصة الإملاء) لمحمد شاكر بن أحمد الجرجاوي، و(نتيجة الإملاء) لمصطفى العناني، و(قواعد الإملاء وعلامات الترقيم) لعبد السلام هارون.

#### سادسًا: عِلم الشعر، والعروض، والقافية، والإنشاء:

- القسطاس في علم العروض) لمحمود بن عمر الزمخشري، و (المرشد الوافي في العروض والقوافي) للدكتور محمد حسن عثمان.
- المعلقات العشر وشروحها كشرح الزوزني، ودواوين فحول الشعراء كالمتنبي والمعري والبحتري وأبي نواس وأبي فراس.
- ") (البيان والتبيين) لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، و (رسائل الجاحظ) أخرجها عبد السلام هارون، و (أدب الكاتب) لابن قتيبة، و (الكامل) للمبرد، و (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي، و (الأمالي) لأبي علي القالي، و (الأغاني للأصفهاني)، و (الصناعتين) لأبي هلال العسكري، و (زهر الآداب وثمر الألباب) لأبي إسحاق إبراهيم الحصري، و (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) للقلقشندي، و (لمنتخب في تاريخ أدب العرب) لمصطفى بدر زيد، و (فصول في الأدب والنقد) لمحمد عبد المنعم خفاجي ()

فإنْ قلتَ: اقتنيتُ شرح قطر الندى، وتعسَّر عليّ، أو قرأت للأعشى ولامرئ القيس، وتصعَّب عليّ شعرهما. قلت: لا بد من أمرين: عزيمة صادقة منك، وأستاذ يفتح لك المغاليق، لكن أنْ تحكم بصعوبة شيء بمجرد أنك لم تجد أستاذًا يجيد التفهيم، فليست المشكلة في قطر الندى، ولا في المتنبي، وليس مبرّرًا للتهجُّم على كتب الأوائل، يقول الأستاذ الطناحي: "التعليم لا بد فيه من طُرُقٍ تَعْمِدُ إلى تيسير معاسره، ولكن العسر لا يزول حقًا إلا بدأب الطالب وحِدّه، مع جودة عمل الأستاذ، وحسن تأنيه، أما أن يكون القصد من تيسير إهمال الضروري، والعمد إلى جعل كل صعب هيئًا بنوع من تمرد تربوي، مرتب على احتقار أمهات مسائل اللغة نحوًا، وصرفًا، وإملاءً، وخطًا، فهذا مالا ينبغي أن يكون "(").

#### ٢- تدريس العربية برؤية تكاملية تطبيقية:

العلوم رحمٌ متصل، وطُرُق متشابكة، والعربية جسم واحد، فغير جيد من المتخصص في النحو أن يجهل البلاغة، أو المتخصص في الأدب أن يجهل النحو، ومن الطرق العلاجية لهذه

<sup>&#</sup>x27;) ينظر: دليل معلمة المناهج الأزهرية (قائمة بالكتب المعتمدة في الأزهر الشريف)، ص ٧١: ١٢٢.

 <sup>)</sup> مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مشكلة الأداء في اللغة العربية، د/ عبد الله الطيب، ص٥٣٧.

الحالة " أنْ نخصص في كل سنة ساعتين أسبوعيًّا للتدريب على علوم اللغة العربية مجتمعة، وتدريس أساليب العرب من خلال نصوص، لا ندرسها فنيًّا أو جماليًّا على نحو ما نفعل في دروس التحليل الأدبي، ولكننا ندرسها من خلال علوم العربية كلها، فندرس مع طلابنا حروفها، وأصواتها، ومخارجها، وتآلفها، وتنافرها، وندرس ألفاظها باشتقاقها، وأبنيتها، وإعرابها، وتطور معانيها، ومواضعها التي جاءت فيها، ومقتضيات وضعها ذلك الوضع الذي جاءت عليه من التركيب اللغوي، وندرس أساليبها المختلفة، ودواعي تنوعها، إنه الدرس الذي يقود الطالب إلى حسن استثمار ما تعلمه نظريًا في علوم العربية كلها ليستقر في نفسه أنها علوم متكاملة تسعى إلى هدف واحد، وتخدم غاية واحدة "(٠).

فنقرأ نصوصًا نستخرج منها النحو، والصرف، والبيان، والمعاني، والبديع، والعروض، ومتن اللغة، فيتعود الطالب على ربط العلوم بعضها ببعض، ويتقوَّى فيما يظهر فيه ضعفه.

وهنا أمر دقيق أشار الأستاذ محمد سعيد العربان، وهو أننا نتعلم العربية بطريقة معكوسة، فنعطي للطالب قواعد العربية، وإذا قرأ لم يقدر على تطبيق ما حفظه من قواعد، والطريقة المثلى التي يراها الأستاذ محمد سعيد العربان، هو أن نبدأ بتقديم نماذج من منثور العرب وأشعارهم؛ لأن ممارسة كلام العرب، والتمعُن في أشعارهم ودواوينهم يصنع الملكة اللغوية، وتكون القواعد مرحلة لاحِقة، يقول: "إن الآفة والعلة والداء ليست في قواعد البلاغة، ومصطلحات النحو، وفصول الأدب... ولكن العلة والآفة والداء أننا نُعلّم التلميذ قواعد اللغة قبل أن يعرف شيئًا من اللغة، أو يقرأ منها قدرًا صالحًا ليعينه على الفهم والمحاكاة، وأننا نُدرّس له البلاغة قبل أن نعقم له النماذج الكثيرة من الكلام البليغ التي تنبه فيه ملكة النقد قبل أن نعطيه قواعد النقد ومقاييس البيان الرفيع، وأننا نجرّعه مصطلحات الأدب وفنونه قبل أن يتنوق الأدب نفسه، من هنا العلة فلنلتمس لها الدواء قبل أن نفكر في حلاوته أو مرارته "(٢).

# ٣- حفظ الآثار الأدبية:

أشار ابن خَلدون إلى أنَّ حصول الملكة اللغوية يكون بكثرة حفظ كلام العرب، وجودة هذه الملكة يكون بجودة المحفوظ؛ لأنه "بارتقاء المحفوظ في طبقته من الكلام ترتقي الملكة الحاصلة؛

<sup>)</sup> مجلة المعرفة، السنة الخامسة والعشرون، العددان: ٢٨٩، ٢٩٠، مارس، وأبريل، ١٩٨٦م، مقالة للدكتور / مازن المبارك، بعنوان: آفاق المعرفة – نحو منهج تكاملي لعلوم اللغة، ص ٢١٨.

لأسالة، السنة الخامسة، عدد: ۲۱۰، ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٦هـ ـ ١٢ يوليه ١٩٣٧م، مقال للأستاذ/ محمد سعيد العربان، بعنوان: الضعف في اللغة العربية، ص ١١٣١.

لأن الطبع إنما ينسج على منوالها، وتنمو قوة الملكة بتغذيتها "(١).

ومن هذا الطريق، نصَّ الرافعي على أنه لا فصاحة، ولا لغة، إلا بالحرص على القرآن، والحديث، وكتب السلف، وآدابهم (٢)، واصطحب توفيق الحكيم معه عند زيارته لباريس كتاب (العِقْد الفريد) لابن عبد ربه، وحفظ إبراهيم عبد القادر المازني في صباه (الكامل) للمبرد، وقِرأ أبو فهر محمود محمد شاكر (لسان العرب) كله وهو تلميذ بالثانوي، وكذلك قرأ في الوقت نفسه كتاب (الأغاني) في طبعة غير مشكولة ولا محققة (٢). وهذا هو سر بلاغة هؤلاء في كتاباتهم، وضحالة وسقم كتابة أناس أعرضوا عنها، ورموها بالجمود والقدم.

وحين نادى بعض الكُتَّاب بهجر الآثار العربية القديمة، والتوجُّه شطر شكسبير وأشباهه، واجههم الأستاذ شاكر بقوله: "ليس يكون لنا مثل شكسبير وأصحابه إلا باستيعاب قديم كتابنا وشعرائنا، والحرص على آثار محدثيهم، فإذا كان ذلك أخرج الشعب يومًا أمثالَ هؤلاء لمن يلينا من أهل أمتنا، وإلا فإننا سائرون إلى ضعف أبدًا ما دمنا نرى أن الطالب لا يطيق أن يستوعب من شعر البحتري إلا قصيدة واحدة، ومن المتنبي مثلها، ثم يكون ذلك آخر عهده وأوله بدراسة الآثار الأدبية والعربية "(٤).

ودلالة كلامه أنَّ شكسبير وأمثاله من الأعلام الأدبية الأجنبية، لم ينشأوا من فراغ لغوي وأدبي، ولم تَنْمُ ذائقتهم البيانية لأنهم هجروا لغتهم وذهبوا يبحثون عن لغة جديدة، حتى وجدوا لغة كاللغة العربية، فتعلموها، فصاروا مشهورين! وبصراحة فلن يكون للمصريين أو العرب تمكّن في اللغة العربية، ولن يكون لهم مثل ما لشكسبير إلا إذا تمكنوا من أمرين، لا يغني أحدهما عن الآخر، وهما: استيعاب قديم كتّابنا وشعرائنا، والحرص على آثار المحدّث منهم، ولا يخفى أنه يشترط في الأول: الاستيعاب والإحاطة، بينما يشترط في الثاني: الإلمام، لذا فإن الإعراض عن القديم أو استبداله بالحديث لا ينشئ إلا أديبًا مزيّفا، والواقع شاهد بأن "الحفظ الأول للآثار الأدبية الرائعة قديمها وحديثها هو الذي يخرج الأديب والكاتب والشاعر. انظر إلى المنفلوطي والرافعي وشوقي وحافظ والبارودي والزيات وطه حسين، كل هؤلاء لم يكونوا كذلك إلا لأنهم نشأوا وقد حفظوا القرآن أطفالًا فحملهم ذلك على متابعة حفظ الآثار الأدبية الجليلة، ثم حَفَرَ هذا المحفوظ ما انطووا

-

١) مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ١١٦٩/٣.

٢) تحت راية القرآن: الأستاذ/ مصطفى صادق الرافعي، ص ٢٢، وما بعدها.

<sup>&</sup>quot;) ينظر: مقالات الأستاذ الطناحي، ص ٢٦٠.

<sup>&</sup>lt;sup>1</sup>) المرجع السابق، ص٧٠٢، وما بعدها.

عليه من الطبيعة الأدبية التي استقرت في أنفسهم وأعصابهم، فلما استحكموا استحكمت لهم طريقتهم في الأدب والشعر والإنشاء، ولولا ذلك لما استطاعوا أن يكونوا اليوم إلا كما نرى مِنْ سائرهم، مَنْ تخرجهم دور التعليم بالآلاف في كل عام ينقضي من أعوام الدراسة"().

ويؤيد ذلك قول الشيخ محمد عرفة: "سَلوا كلَّ كاتبٍ يحوك الوشْيَ وينفُث السحر، وكلَّ شاعرٍ يقول الشعر وينظِم الدُرَّ، في مصر وفي بلاد الشرق: بماذا نِلْتم هذه المنزلة ووصلتم إلى هذه الدرجة من البيان؟ يجيبوك بأنهم لم ينالوا هذه المنزلة إلا بالقراءة الكثيرة، والحفظ الكثير، ومزاولة الكتابة والحديث"(٢).

ولو أن العرب تعلموا وحفظوا كلَّ الآداب الإنجليزية والألمانية أو غيرهما من الآداب الأجنبية، فإنه سيكون لهم كُتّاب ينطبق عليهم (النسخة المصرية في الأدب الإنجليزي أو الألماني أو الفرنسي)، نَسْخٌ وتقليدٌ ومحاكاةٌ.

وعلى المقابل، فالشكوى من القديم والذَمْر منه، وتقليله واختصاره واختزاله ليؤول إلى طلاسم ورموز تشير إلى شيء من المعرفة بزعم التخفيف والتطوير والتجديد ومحاكاة العصر، فهذا إيغال في البُعْد عن أصول المعرفة، وركون إلى هوامشها وأَحْرُفها!(")

### ٤- إعلاء شأن المؤسسات المسؤولة عن حماية اللغة العربية:

تعزيز المؤسسات المنوطة بحماية اللغة العربية، والعناية بها، وإمدادها بمقومات وأسباب نهوضها، من الطرق العملية المؤثرة في الحفاظ على اللغة العربية، ومن أهم المؤسسات المسؤولة عن حماية اللغة العربية ونشرها:

#### أ- الأزهر:

يحمل الأزهر أمانة إلهية، منذ أنشأه المعز لدين الله الفاطمي حتى عصرنا هذا، هي الحفاظ على الشريعة الإسلامية، وعلى اللغة العربية، عن طريق التفرُّغ لهما علمًا وعملًا، فقد نصت المادة الأولى من قانون الأزهر على أنَّ "الجامع الأزهر هو المعهد الديني العلمي الإسلامي الأكبر، والغرض منه:

<sup>)</sup> مجلة الرسالة، السنة الثامنة، عدد: ٣٥٥، الاثنين ١٤ ربيع أول سنة ١٣٥٩هـ - ٢٢ إبريل سنة ١٩٤٠م، مقال للأستاذ/ محمود محمد شاكر، بعنوان: الأدب في أسبوع، ص٧٠٣.

٢) مشكلة اللغة العربية، لماذا أخفقنا في تعليمها، وكيف نعلمها: الشيخ/ محمد عرفة، ص ٩٨، وما بعدها.

<sup>&</sup>quot;) المساجلات الفكرية بين الأستاذ محمود شاكر ومعاصريه: د/ عبد الغفار عبد الرؤف حسن، ص ٢٦٦.

- ١. القيام على حفظ الشريعة الغراء أصولها وفروعها، واللغة العربية، وعلى نشرهما.
- ٢. تخريج علماء يُوكل إليهم تعليم علوم الدين واللغة في مختلف المعاهد والمدارس"(٠٠).

فالمهمة الأُولى للأزهر هي الحفاظ على الشريعة الغرَّاء، واللغة العربية، وهذا يتطلب العناية به، والأخذ بيده، ويتطلب منه أن يزيد عنايته بالعربية، وأشهر مظهر لذلك أن يُلزِم جميع المحاضرين والمدرّسين أن تكون محاضراتهم بالعربية، والعربية هنا لا تعنى ضبط أواخر الكلِم بل تشمل كذلك التذوق البياني، والحس الأدبي.

#### ب - مجامع اللغة العربية:

يُناط بمجامع اللغة العربية العناية بسلامة اللغة العربية، فمن أغراض مجمع اللغة العربية بالقاهرة التي حدَّدها مرسوم ملكي صادر من فؤاد الأول، ملك مصر، سنة ١٩٣٢م:

أ-أن يُحافِظ على سلامة اللغة العربية، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدّمها، ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر، وذلك بأن يحدّد في معاجم، أو تفاسير خاصة، أو بغير ذلك من الطرق، ما ينبغي استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب. ب- أن يبحث كل ما له شأن في تقدم اللغة العربية، مما يُعْهَد إليه فيه، بقرار من وزير المعارف العمومية (ن).

وانطلاقًا من هذه المسؤولية، أصدر المجمع توصيات في سنوات متعاقبة، أهمها:

- ا ضرورة العمل بحزم على مقاومة كتابة لافتات المحال التجارية ونحوها، والمؤسسات على اختلاف أنواعها، بأي لغة غير العربية السليمة، وضرورة تجنب كتابة الأسماء التي هي أجنبية فقط بحروف عربية حفاظًا على الانتماء العربي (٣).
- أنْ تُعنى وسائل الإعلام \_ صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية \_ بضرورة الحفاظ على قواعد
   اللغة العربية، ونطق الكلمات نطقًا سليمًا، وإعداد العاملين بها إعدادًا لغويا وصوتيًا،

<sup>)</sup> مجلة الرسالة، السنة العشرون، العدد ٩٦٦، ٩ ربيع الآخر سنة ١٣٧١هـ ٧ يناير سنة ١٩٥٢م، مقالة لفضيلة الأستاذ/ محمد محمد المدني، بعنوان: الأزهر الآن يعيش برئة واحدة، ص١٨٠.

<sup>&</sup>lt;sup>۲</sup>) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، الجزء الأول، رجب سنة ١٣٥٣هـ ـ أكتوبر سنة ١٩٣٤م، المطبعة الأميرية ببولاق، ١٩٣٥م، ص ٦، وما بعدها.

<sup>&</sup>quot;) مجلة القاهرة، عدد: ٧١، ١٧ رمضان ١٤٠٧هـ \_ ١٥ مايو ١٩٨٧م، مقالة للدكتور/ إبراهيم مدكور، بعنوان: توصيات مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الدورة الثالثة والخمسين ١٩٨٧م.

- مستعينة في ذلك بالأستاتذة المتخصصين في مجالي النحو والصرفيات (٥).
- العمل على أن تلتزم مسارح الدولة بالفصحى ما أمكن، مع الطلب إلى المسارح الخاصة أن تُعنى بلغة تمثيلياتها، وترتقى بها تدريجيًا.
- العمل على توجيه أستاتذة الجامعات والمعاهد، ومعلمي المدارس، للالتزام في محاضراتهم ودروسهم، وفي مناقشاتهم بالفصحي(>).
- ه) ضرورة تعريب التعليم، يقول أ.د/ عبد الحافظ حلمي، أحد أعضاء مجمع اللغة العربية، "نحن لا نكاد نعرف بين أمم العالم، صغيرها وكبيرها، أمة تُقدّم العلم لأبنائها بغير لغتهم سوى ما يحدث في الجامعات العربية، فلا صعوبة كتابة اللغة اليابانية مثلًا، ولا صغر وحجم بعض دويلات أوروبا مثلًا، قد حالا دون أن تكون اللغة القومية هي لغة تدريس العلوم في تلك البلاد"(٣)، ويذكر أ.د/ عبد الحافظ حلمي، طرفة معبّرة عن ضرورة التعريب، قائلًا: "في حوار لي مع الدكتور (دانيلز)، الأديب واسع الثقافة الذي كان مديرًا لمكتب المجلس البريطاني في القاهرة في السبعينيات، أحس الرجل كأنني أقف موقف المدافع مبرّرًا دعوتي لتعريب التدريس في كليات العلوم، فقال لي: لا شك أن الحق معكم، وأخبرُ زملاءك أننا غير راضين عما تفعلونه بلغتنا!" (٤).

أصدرت \_ ولا تزال \_ المجامع توصياتها، ويبقى أنْ يأخذ المعنيُّون هذه التوصيات بيد الجِدّ، وبعملون على تطبيقها، فما يعوزنا هو التطبيق، لا التنظير.

وعلى الجملة، فالحقيقة المفزعة هي أنَّ اللغة في خطر داهم، وأول طُرُق الخلاص من ذلك، أنْ تبدأ أنت، فكُنْ صادق العزيمة:

١. اختر كتابًا في كل فن من فنون العربية، وأن يكون غرضُك من التعلُّم حصولَ ملكة العلم

<sup>()</sup> مجمع اللغة العربية الأردني، العدد: (١٣، ١٤)، شعبان، وذو الحجة ١٤٠١هـ ـ تموز، وكانون الأول ١٩٨١م، السنة الرابعة، مقالة للدكتور/ عدنان الخطيب، بعنوان: وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في الدورة السابعة والأربعين ١٩٨١م، ص ١٢٥.

لغة العربية الأردني، العدد: ( ۲۷ \_ ۲۸)، السنة التاسعة، ربيع الثاني، شوال ١٤٠٥هـ \_ كانون الثاني، حزيران، ١٩٨٥م، مقالة للدكتور/ عدنان الخطيب، بعنوان: وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الخمسين ١٩٨٤م، ص ١٧٩٠.

<sup>&</sup>quot;) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء التاسع والسبعون، جمادى الآخرة ١٤١٧هـ ـ نوفمبر ١٩٩٦م، تعريب التعليم الجامعي، أ.د/ عبد الحافظ حلمي محمد، ص ٣٤.

<sup>&</sup>lt;sup>1</sup>) المرجع السابق، ص ٢٨.

فيك، لا بغرض الحصول على شهادة:

- ٧. عليك بكتب الأدباء المحدَثين الهاضمين للغة، كالأساتذة: مصطفى لطفي المنفلوطي، ومصطفى صادق الرافعي، وعباس محمود العقاد، وطه حسين، وأحمد حسن الزيات، ومحمود محمد شاكر، وزكي مبارك، وعبد العزيز البشري، ومحمود الطناحي، وعبد الله فكري، ومحمد رجب البيومي، وقد جُمِعَت مقالات الطناحي تحت عنوان: (مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي)، وللأستاذ محمود شاكر: (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) وهي من المهمات الثقافية للداعية.
- ٣. واحرِص على قراءة المجلات القديمة كمجلة الرسالة، والعصور، والمقتطف، والهلال، وأبولو، والبلاغ، والثقافة لمحمد فريد أبي حديد، وغيرها، ولا تقل بتهكم واستعلاء: إنها مجلات أو جرائد! كأنك تُقارنها بمجلات عصرنا الراهن، فليست مجلاتهم كمجلاتنا، ولا كُتَّابهم ككُتَّابنا!.
- ٤. وانتقِلُ إلى أصول الأدب، فاقرأ أدب الكاتب لابن قتيبة، أو الكامل للمبرد، أو البيان والتبيين للجاحظ، أو النوادر لأبي علي القالي، أو رسائل الجاحظ التي حققها الأستاذ عبد السلام هارون في مجلدات أربعة، فياله من إمتاع ومؤانسة!.

# المبحث الخامس آثار التمكن من العربية في تجديد الخطاب الديني

وفيه ثلاثة مطالب:

### المطلب الأول

#### إحياء العربية

تمكُّن الدعاة من علوم العربية يُسْهمُ في نشر العربية واشاعتها في لغة التخاطب بين فئات المجتمع المختلفة، خصوصًا وهُم الخطباء والوعاظ الذين يُقْبلون على الناس بالنصح والإرشاد أيام الجُمَع والمناسبات، ويسهم كذلك في تصحيح المفاهيم المغلوطة عن اللغة، فإذا قلت لطالب كلية شرعية لا يصلى: (الصلاة واجبة). قال لك: ما الجديد في ذلك؟ أنا أعرف أنها واجبة، فكلامك لغو. ولم يَدْرِ أنَّ أغراض الخطاب لا تتحصر في إفادة المخاطَب شيئًا يجهله، بل يشمل كذلك قَصْد المتكلِّم إفادة المخاطَب أنه عالم بالحكم، فحينما يقول الأستاذ لطالب ينتظم في حضور دروسه: أنت تحضر كل دروسك، فلا يُقصد به إعلام الطالب بفائدة يجهلها، وإنما يُعْلِمُهُ أنه عالم بأنه منتظم في دراسته، وهِذا يسمى لازم فائدة الخبر، وبسمى الأول فائدة الخبر. ولم يَدْر كذلك أنَّ الكلام قد يخرج على خلاف مقتضى الظاهر لاعتبارات:

١) فقد يُنزَّل العالم بالشي منزلة الجاهل به، فيُلقَى إليه الخبر وإن كان عالمِا بفائدة الخبر ولازمها، وذلك لعدم جربه على موجَب العلم، يقول السعد: "فإنَّ مَن لا يجري على مقتضى علمه هو والجاهل سواء، كما يقال للعالم تارك الصلاة: الصلاة واجبة، وتنزبل العالم بالشيء منزلة الجاهل به لاعتبارات خطابية كثيرٌ في الكلام"(١٠)، وقولك للذي لا يصلى: (الصلاة واجبة) من هذا الباب، فلعدم عمله بمقتضى علمه المفيد وجوب الصلاة عليه نُزّل منزلة الجاهل به، "وإنما جاز تنزبل العالم منزلة الجاهل عند انتفاء جربه على موجَب العلم تعييرًا له وتقبيحًا بحاله؛ لأنه إذا كان عالمًا بوجوب الصلاة، وكان تاركًا لها، وقيل له: الصلاة واجبة، كان في إلقاء الخبر إليه إشارة إلى أنه هو والجاهل سواء؛ لأنه لا يتصور تركها إلا من الجاهل، وفي هذا من التوبيخ ما لا يخفى $(^{\circ})$ .

<sup>&#</sup>x27;) مختصر المعانى، سعد الدين التفتازاني، ص ٣٤.

٢) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، ١٥٦/١.

٢) وقد يُنزَّل وجود الشيء منزلة عدمه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَ ٱللهَ رَمَيْ وَالْكِنَ ٱللهَ رَمِيهُ أَنْ فقد نُزِّل رمِي النبي ﷺ منزلة العدم؛ "لأنه لما ترتب على رميه آثار عجيبة لم تترتب على فعل غيره من البشر عادة، نُزِّل ذلك الرمي منزلة العدم لقلته؛ لما ترتب عليه "(››.

إنَّ إحياء العربية لا يقتصر على ضبط أواخر الكَلِم العربية، وإنما يعني "إحياء الخصائص الأدبية والفنية والبيانية التي امتاز بها العرب في أشعارهم وأمثالهم وخطبهم وحِكَم الحكماء منهم، حتى ليكون مجردُ معرفة اللغة – بله إتقانها – ثقافةً كاملةً تعين المرء على فهم الحياة والناس فهمًا قريبًا من الحقيقة إن لم يكن الحقيقة بذاتها، وتلك هي حال الأعراب والعرب في بادئ الأمر؛ إذ عاشوا أميين ولكنهم كانوا مثقفين لما تزودهم به لغتهم من معرفة، وتكشف لهم من آفاق، وتوحي إليهم من عِبر "(").

وبإتقان الدعاة للعربية، وتمثّلهم بها، وذوبانها في أنفسهم، تُحيا العربية إحياءً لا ينحصر في اللفظ والعبارة، وإنما يشمل الجوهر والروح، وإحياءُ العربيةِ إحياءٌ للدين، وإمدادٌ له بالحيوية والفاعلية.

<sup>)</sup> سورة الأنفال، من آية ١٧.

٢) حاشية الدسوقي على مختصر المعانى، ١٥٧/١.

<sup>&</sup>quot;) مجلة الأديب، السنة السادسة، الجزء الثاني، فبراير سنة ١٩٤٧م، مقال للأستاذ/ عبد اللطيف شرارة، بعنوان: وسائل البعث العربي، ص ٥٤.

#### المطلب الثاني

#### الفهم المنضبط لنصوص الشارع

إنَّ الوقوف على علوم اللغة العربية تَعْصِمُ مراعاتُها الذهنَ عن الخطأ في فهم مراد الشارع، ولقد كان كلام العرب في الجاهلية عونًا للصحابة على فَهْم القرآن، ومن أمثلة ذلك:

أ- قول مجاهد: "سمعت ابن عباس يقول: كنت لا أدري ما ﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (١) حتى أتاني أعرابيّان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه: أنا فَطَرتها، أي: أنا ابتدأت حَفْرها"(٢).

ب- وقول ابن عباس: "ما كنت أدري ما قوله: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحُقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَتِحِينَ ﴾ (") حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول: "تعالَ أفاتحك" (").

وهذا يشير إلى أنَّ فهم كتاب الله لا يكون إلا بالتعمق في العربية؛ فإن "للتعمق في اللغة أثره في فهم كل جملة في كتاب الله أو سنة رسوله ، وما انحرف بعض شبابنا عن الإسلام الصحيح إلا بجهلهم بمعطيات اللغة العربية سواء في النصوص الخاصة بالعقيدة أم بالقصص القرآني"(٥).

ويحكي الأستاذ الدكتور "محمد المختار المهدي" موقفًا حدث معه يُبيّن أثر الجهل باللغة في سوء فهم النص، يقول: "وإن أنس لا أنس ذلك الشاب المتحمس حين قال لي: أنتم تقولون: إن الأنبياء معصمون من الشرك قبل النبوة، وأنا آتيك بآية في كتاب الله صريحة في نسبة الشرك لنبي ورسول مشهور. قلت له: هات الآية يا بنيّ. قال: يقول سيدنا شعيب: ﴿قَدِاْفَتَرَيْنَاعَلَى اللّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلْتَهُمْ بَعُدَ إِذْ نَجَنَنَا اللّهُ مِنْهَا ﴾ (٢). فهو يعترف هنا أنه كان في ملتهم قبل الرسالة وبأنه لن يعود إليها. قلت له: ما أجهلك بلغة قومك يا بنيّ. إذا كان فهمك هذا صحيحًا، فكل الرسل – وليس

<sup>&#</sup>x27;) سورة فاطر، جزء من آية: ١.

لبیان في تأویل القرآن: محمد بن جریر الطبري، تحقیق: أحمد محمد شاكر ومحمود محمد شاكر،
 ۲۸۳/۱۱ مؤسسة الرسالة، ط۱، ۲۲۰۱ه – ۲۰۰۰م. وینظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة: (فطر)،
 ۵۲/۰.

<sup>&</sup>quot;) سورة الأعراف، جزء من آية: ٨٩.

<sup>&</sup>lt;sup>4</sup>) جامع البيان في تأويل القرآن: ابن جرير الطبري، ٥٦٤/١٢.

<sup>°)</sup> أثر الدرس اللغوي في فهم النص الشرعي: أ.د/ محمد المختار محمد المهدي، ص ٤٧٧.

<sup>7)</sup> سورة الأعراف: من آية ٨٩.

شعيبًا وحده – كانوا مشركين؛ ذلك أن الله لأ يقول في سورة إبراهيم: ﴿ وَقَالَ ٱلّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُحُرِجَنَّ كُوْمِنَ أَرْضِنَ أَوْلَتَعُودُ تَ فِي مِلَّتِ نَأَ فَأُوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهُ لِكَنَ ٱلظّلِمِينَ ﴾ (١٠)، فكل الرسل هددوا بالإخراج من أرضهم أو الدخول في ملتهم، فهل كان إبراهيم مثلًا مشركًا قبل الرسالة؟ إن الجهل باللغة هو الذي أدَّى إلى هذا الفهم السقيم؛ فإن اللغة تقول: إن الفعل "عاد" إذا تعدَّى بحرف "إلى" كان بمعنى: رجع، أما إذا تعدَّى بحرف "في" فإنه بمعنى: دخل، وإذن فمعنى ﴿ إِنْ عُدْنَا فِي مِلَتِكُمْ ﴾: إن دخلنا فيها بعد إذ نجانا الله من الدخول فيها"(١٠).

فإن قلت: أيكفي في فهم نصوص القرآن والسنة الرجوع إلى كتب الغريب والمعاجم؟ قلت: لا يكفي؛ إذ ينضاف إليها أمور أُخَر، بيان ذلك أنه لما توفرت دواعي تدوين العلوم، استقرأ العلماء كلام العرب، وعرفوا مناهجهم في فهم الخطاب، فقامت في ذلك علوم يتوقف عليها فَهْم مراد الشارع الحكيم، منها (علم أصول الفقه)، وهو يُعنى باعتصار الأحكام من أدلتها الشرعية، واستمداده من ثلاثة علوم، هي: علم الكلام، وعلم اللغة العربية، وعلم الأحكام، "ووجه ارتباطه بعلم اللغة العربية أن الكتاب والسنة ألفاظ عربية لها مدلولاتها، واستنباط الأحكام منها يتوقف على ما في العربية من حقيقة ومجاز، وعموم وخصوص، ومطلق ومقيد، ومنطوق ومفهوم، وغير ذلك، وهذه هي المعروفة عند الأصوليين بالمبادئ اللغوية"(٣).

ومن مُثَارات الفخر أنَّ للأصوليين نظرًا زائدًا إلى المباحث اللغوية عن نظر اللغويين، يقول إمام الحرمين عن الأصوليين: "واعتنوًا في فنهم بما أغفله أئمة العربية، واشتد اعتناؤهم بذكر ما اجتمع فيه إغفال أئمة اللسان، وظهور مقصد الشرع"(٤)، ويقول تقي الدين السبكي في سياق ردّه على مَنْ يقول: إنَّ علم أصول الفقه ما هو إلا نُبَذّ جُمِعَت من علومٍ متفرقة: "إنَّ الأصوليين دَقَّقُوا في فهم أشياء من كلام العرب لم يصل إليها النحاة ولا اللغويون، فإنَّ كلام العرب متسع جدًّا، والنظر فيه متشعب، فَكُتُبُ اللغةِ تَضْبط الألفاظ ومعانيها الظاهرة، دون المعانى الدقيقة التي تحتاج

") أثر الدرس اللغوي في فهم النص الشرعي: أ.د/ محمد المختار محمد المهدي، ص ٤٧٧، وما بعدها.

العدد (٣٤) اصدار ديسمبر/٢٠١م - المجلد الثاني

<sup>)</sup> سورة الأعراف: آية ١٣.

<sup>&</sup>lt;sup>T</sup>) الخلاصة في علم أصول الفقه: الأستاذ/ حسن حسين، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٣٨٥ه – ١٩٦٦م، ص ٩.

<sup>&</sup>lt;sup>1</sup>) البرهان في أصول الفقه: إمام الحرمين الجويني، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م، ٤٣/١.

إلى نظر الأصول، واستقراءٍ زائدٍ على استقراء اللغوي. مثاله: دلالة صيغة "افعل" على الوجوب، "ولا تفعل" على التحريم، وكون: كل وأخواتها للعموم، وما أشبه ذلك مما ذكر السائل أنه من اللغة. لو فتشت كتب اللغة لم تجد فيها شيئًا في ذلك، ولا تعرُّضًا لما ذكره الأصوليون، وكذلك كتب النحو لو طلبت معنى الاستثناء، وأنَّ الإخراج هل هو قبل الحكم أو بعد الحكم، ونحو ذلك من الدقائق التي تعرَّض لها الأصوليون، وأخذوها باستقراء خاص من كلام العرب، وأدلةٍ خاصة لا تقتضيها صناعة النحو، فهذا ونحوه مما تكفل به أصول الفقه "(")، ولهذه المباحث المشتركة بين العربية والنحو قيل: "النحو معقولٌ من منقول، كما أنَّ الفقه معقولٌ من منقول"(").

إنَّ تعلُّم الدعاة لعلوم اللغة العربية عمومًا، وأصول الفقه خصوصًا يحفظ أفكارهم من المتخراج الانحراف أو التميع في فهم دلالات الألفاظ، وبذلك يتكوّن للدعاة مناعة قوية تحفظهم من استخراج أحكام فاسدة من النصوص الشرعية، فليس المشكلة في النصوص، وإنما في فهم النصوص، وفهم النصوص إما أن يُترك لرغبات الأشخاص ونزعاتهم كيفما اتفق، وإما أن ينضبط بمنهج علمي دقيق، في ذروته علم أصول الفقه الذي به تُعْرف القواعد التي يُتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية. وإني لأعجب من أناس، ينطق لسانهم بحرمة شيء، ثم يقولون للناس: (الذي حرَّم هو الله، لا نحن، انظروا إلى قوله تعالى...)، وهذا جهل وتدليس، ففرق بين النص، والحكم المستنبط من النص، واستنباط الأحكام من النصوص وظيفة الأصوليين، لا العوام، إذن فمحل النزاع هو وجه دلالة النصوص، لا النصوص في حد ذاتها.

وفيما يأتي سأذكر نموذجًا يُبيّن الفرق بين الفكر المنضبط بالمنهج العلمي الدقيق، والفكر المنظلِق من الرغائب أو المناحي المعبّرة عن توجُهات معينة، وستُدْرِك من خلاله الارتباط بين العربية والقواعد الأصولية والتفسيرية، وذلك في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُواْ إِلَى ٱللَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللّهِ مِنْ أَوْلِيآ ةَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ (٣)، وهذه الآية من عُمَد بعض التيارات الفكرية في الخروج على المجتمعات بالترويع والإفساد، فلننظر إلى التأويلين الآتيين:

-

<sup>)</sup> الإبهاج في شرح المنهاج: تقي الدين السبكي، وولده تاج الدين السبكي، تحقيق: د. أحمد جمال الزمزمي، د. نور الدين عبد الجبار، دار البحوث للدراسات الإسلامية، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٢٤ه ٢٠٠٤م، ١٥/١.

أ) منهجية التفكير العلمي في ضوء القواعد الأصولية: أ.د. محمود عبد الرحمن عبد المنعم، مفكرون الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٤١ه، ٢٠٢٠م، ص ١٨٧.

<sup>&</sup>lt;sup>۳</sup>) سورة هود: آیة ۱۱۳.

#### أ- التأويل غير المنضبط:

يقول في تأويلها: "لا تستندوا ولا تطمئنوا إلى الذين ظلموا، إلى الجبارين الطغاة الظالمين، أصحاب القوة في الأرض، الذين يقهرون العباد بقوتهم ويعبدونهم لغير الله من العبيد.. لا تركنوا إليهم؛ فإن ركونكم إليهم يعني إقرارهم على هذا المنكر الأكبر الذي يزاولونه، ومشاركتهم إثم ذلك المنكر الكبير "(١).

يُفسر (الذين ظلموا) بأنهم الجبَّارون، الطغاة، أصحاب القوة في الأرض، الذين يقهرون الناس، يُعبَّدون الناس لغير الله، خمس صفات، يشوبها الغموض، والنزوع إلى المنحى السياسي، وكأنه قَصَرَ (الذين ظلموا) في الحُكَّام، كما تفيده كلمة (أصحاب القوة في الأرض).

وعلى نفس المنهج في الغموض، يقول كاتِبٌ بعد أنْ أورد هذه الآية مع ما يقاربها: "وهذه الآيات كلها قوارع وزواجر تبيّن أن هذه الأمة يجب عليها أن تستقيم على أمر الله كما شرع الله، وأنها إن تركت ذلك وركنت إلى الظالمين في شيء من تشريعهم الباطل، فإن لعنة الله وعقوبته تحل بهم كما حلت بالأمم السالفة" (٣).

هكذا يقول دون أن يُحدّد المراد بالظالمين، وخطورة ذلك أنه لا يوجد إنسان غير معصوم لم يقع في ظلم ولو مرةً، فَوَقَعَ كلُّ المسلمين تحت وعيد هذه الآية، ثم جزم بحكمه هذا في قوله: "وهذا الذي أخبر الله سبحانه وتعالى به واقع أمامنا نراه ونشاهده كل يوم، فاندحار هذه الأمة وذلتها وتشريد أبنائها، وركوعها أمام اليهود وكل أعداء الله في الأرض، ثم فرقتها وشتاتها أليس كل ذلك شاهد واضح على صدق وعد الله وأنه سبحانه لا يخلف، وأنه لا يحابي أحدًا سبحانه، وأن أمة محمد لا تنصر إلا بتطبيق شريعته وابتغاء مرضاته سبحانه" (٢٠).

ومفاد قوله أنَّ أفراد الأمة الإسلامية تنقسم إلى قسمين: قسم وُجِدَ منه الظلم، وقسم ركن إلى مَنْ وُجِدَ منه الظلم، تحقيقًا للاستغرق في كلمة الظالمين، ولزومًا لقوله: (وهذا الذي أخبر الله سبحانه وتعالى به واقع أمامنا نراه ونشاهده كل يوم).

### ب- التأويل المنضبط:

<sup>&#</sup>x27;) في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١٤١٧، ١٤١٢ه، ١٩٣١/٤.

<sup>&</sup>lt;sup>۲</sup>) وجوب تطبيق الحدود الشرعية: عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط۲، ۱٤۰٤هـ، ۱۹۸۶م، ص ۱۸.

<sup>&</sup>lt;sup>7</sup>) المرجع السابق، الصفحة ذاتها.

يتبين من خلال النقاط الآتية:

أولًا: تعريف الركون لغة: هو "السكون إلى الشيء، والميل إليه"(١٠).

# ثانياً: توجيه الخطاب في الآية:

الخطاب في الآية "لأتباع الكفرة، أي: لا تركنوا إلى القادة والكبراء في ظلمهم، وفيما يدعونكم إليه" (٢)، وقيل: الخطاب في الآية لـ "رسول الله صلى الله عليه وسلم وَمَنْ مَعَهُ من المؤمنين للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل؛ فإنَّ الميلَ إلى أحد طرفي الإفراطِ والتفريطِ ظلمٌ على نفسه أو على غيره"(٢)، ويُؤيد هذا القول سبب نزول الآية:

### ثالثًا: سبب نزول الآية:

"قال بعض أهل التأويل نزل قوله: ﴿ وَلَا تَرْكَنُواْ إِلَى ٱلّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ في رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - حين دعاه أهل الشرك إلى ملة آبائه؛ يقول: ولا تميلوا إلى أهل الشرك، ولا تلحقوا بهم "(٤).

# رابعاً: الركون المنهى عنه:

فُسِّر بالتأويلات الآتية:

- الرضا بالشرك: قال ابن عباس في تفسير الركون بأنه (الركون إلى الشرك)، وقال قتادة: "لا تلحقوا بالشرك، وهو الذي خرجتم منه"(د).
  - $^{(2)}$  الرضا بأعمال الظلمة: قال أبو العالية: " $^{(2)}$  ترضوا أعمالهم  $^{(2)}$ .
- ٣) الإِدْهان(١٥)، أي: لا تُدْهِنُوا لهم في القول، وهو أن يوافقهم في السر، ولا ينكر عليهم في

<sup>&#</sup>x27;) لسان العرب لابن منظور، مادة: (ركن)، ١٨٦/١٣.

لتنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي): أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ه، ١٩٩٨م، ١٨/٢.

 <sup>&</sup>quot;) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد، دار إحياء التراث العربي - بيروت ،
 ٢٤٥/٤

<sup>&</sup>lt;sup>4</sup>) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٦٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م، ١٩٢/٦.

<sup>°)</sup> جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري، ١٥٠٠/١٥.

<sup>ً)</sup> المرجع السابق، الصفحة ذاتها.

لمداهنة والإدهان: المصانعة واللّين، وقيل: المداهنة: إظهار خِلَافِ مَا يُضمِر. لسان العرب لابن منظور، مادة:

# الجهر، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوْتُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ (٧٠.

يقول الفخر الرازي: "قال المحققون: الركون المنهي عنه هو الرضا بما عليه الظلمة من الظلم، وتحسين تلك الطريقة وتزيينها عندهم وعند غيرهم، ومشاركتهم في شيء من تلك الأبواب، فأما مداخلتهم لدفع ضرر أو اجتلاب منفعة عاجلة، فغير داخل في الركون"(›).

### خامساً: متعلّق الركون (المراد بالذين ظلموا):

هنا ثلاث إشارات:

الأولى: فرق بين الظلم) والركون إلى الظلم)، فعقاب الركون إلى الظلم دون عقاب المشاركة في الظلم، لذا قال تعالى: ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾، ولم يقل: افتحرقكم النار)؛ لأنه "لما كان الركون إلى الظالم - وهو الميل إليه والاعتماد عليه - دون مشاركته في الظلم، وجب أن يكون العقاب عليه دون العقاب على الظالم، فأتى بلفظ المسّ الذي هو دون الإحراق والاصطلام "(").

الثانية: أنَّ المركون إليهم هُمْ مَنْ وُجِدَ منهم الظلم، فقوله تعالى: ﴿ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ "أى: إلى الذين وُجِدَ منهم الظلم، ولم يقل: إلى الظالمين "(١).

الثالثة: المراد بـ "الذين ظَلَمُوا هنا هم الكفار، وهو النص للمتأولين، ويدخل بالمعنى أهل المعاصى" (٠٠٠).

إذن فبإدراك الداعاة للعلوم العربية، ووقوفهم على المبادئ اللغوية من مباحث العموم والخصوص وغيرها من قواعد تفسير النصوص المبيَّنة في علم أصول الفقه، يتبيَّن لهم أنَّ الركون هنا ليس على عمومه، بل خاصِّ بالرضا بالظلم، وأنَّه خُصَّ بالكفار، وإنْ دخل فيهم أهل المعاصي

<sup>(</sup>دهن)، ۱۲۲/۱۳.

<sup>)</sup> تفسير الماوردي (النكت والعيون): أبو الحسن علي بن محمد البغدادي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٥٠٨/٢، والآية من سورة القلم: آية ٩.

۲) مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط۳، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠/١٨.

رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية:
د. جورج زبناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ١٩٩١.

<sup>&</sup>lt;sup>1</sup>) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود الزمخشري، ٤٣٣/٢.

<sup>°)</sup> المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي، ٣١٢/٣.

من المؤمنين. أما إطلاق الأحكام بناءً على عموميَّة الألفاظ، دونما تغريق بين عام وخاص، ومطلق ومقيد، ومجمل ومبين، فَمِنْ مُفْسِدات التأويل، وتحميل الألفاظ ما لا تحتمله من المعاني، فكلُ صاحب هوى يُحمّل اللفظ بما يُسوّغ له توجُّهه، وتُفسّر المعاني بحسب التأويل الشخصي، لا بحسب التأويل الوضعي، مع أن القاعدة تقول: الاستعمال صفة المتكلم، والحمل صفة السامع، والوضع قبلهما.

ومن هذه الطريق تتموُّ المجتمعات، ويقلُّ الشغب، ف "إذا أردنا أن نلحق بركب العلم، وندخل بالدرس العربي مجال العصر الحديث، فأول ما ينبغي العناية به ضبط مصطلحات فروع المعرفة، وجعل اللغة العربية لغة دقيقة في شتى النواحي، قادرة على استيعاب الأفكار، مبرأة من التميع والإنشائية الزائفة"(١).

) مجلة إبداع: العدد الخامس، السنة الثانية، رجب ١٤٠٤هـ – مايو ١٩٨٤م، مقال للدكتور/ محمود الربيعي، بعنوان: من مشكلات الحداثة، ص ٢٢.

\_\_\_

#### المطلب الثالث

#### تعزيز الفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية

عدً الإمام السنوسي الجهل باللسان العربي من أصول الكفر السبعة (١٠)، ربما أثارت مقالته العجب بادئ الأمر، لكني سأضرب بعض الأمثلة المبيّنة لأثر اللغة في فهم الدرس الكلامي، وقبل ذلك أشير إلى قاعدة منهجية تضيء لنا الطريق في فهم تلك الأمثلة، وهي أنه من المقرَّر عند أهل السنة والجماعة أنَّ الله ليس بعَرَض، ولا جسم، ولا جوهر، ولا مصورً، ولا محدود، ولا معدود، ولا متبعض، ولا متجزّئ، ولا متركب، ولا متناه، ولا يوصف بالمائية أي المجانسة للأشياء، ولا بالكيفية، ولا يتمكَّن في مكان، ولا يجري عليه زمان، ولا يشبهه شيء (١٠)، ومقرر كذلك أنَّ اللفظ إذا أوْهَمَ خلاف المراد في حقه تعالى يُراد منه لازمه، مثلًا: لكلمة اللطيف في اللغة ثلاثة معانٍ، هي: صغير الحجم، ورقيق القوام، والشفاف الذي لا يحجب ما وراءه كالزجاج، وهذه المعاني محالة في حقه تعالى؛ لاستلزامها الجسمية، فيراد منها لازمها، وهو العالم بخفيًات الأمور (١٠)، وفي المثالين ميتبيّن لك أثر الجهل بعلوم العربية في الانحراف في فهم العقائد:

المثال الأول: قضية الإسناد، وبيانها أنَّ إسناد الحوادث والكائنات إلى الله على سبيل الحقيقة، كقولك: شفى الله المريض، وإلى غيره بطريق المجازي العقلي، كقولك: شفى الطبيب المريض، فهذا من باب المجاز؛ لأن الله أجرى الشفاء على يد الطبيب، فالنسبة هنا إلى مظهر الشفاء، لا إلى مصدره، بل إنَّ الدين نفسه "يضاف إلى الله تعالى لصدوره عنه، وإلى النبي صلى الله عليه وسلم لظهوره منه، وإلى الأمة لتدينهم به وانقيادهم له"(١)

وبذلك يتبين أنَّ الإسناد إما أن يكون لمصدر الشيء، أو مظهره، وأن الأول على سبيل الحقيقة، والثاني من باب المجاز، ومن الجهل بعلم البيان الخلط بين الأمرين، ومن ذلك صرنا نرى مَنْ يقول مثلًا: لا يصح أن تقول لشيخك: (يا سيدنا)؛ لأن السيد هو الله، وهذا خلطٌ بين الإسناد

ا) ينظر: المواهب اللدنية شرح المقدمات السنوسية: أبو إسحاق إبراهيم السرقسطي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٧٣ه – ١٩٥٣م، ص ٣٨.

لنظر: النبراس (شرحُ شرحِ العقائد النسفية): العلامة الفرهاري، مكتبة ياسين، تركيا، ط١، ١٤٣٣ – ٢٠١٢م،
 ص ٢٢٥: ٢٤٧.

<sup>&</sup>quot;) ينظر: حاشية على الخريدة البهية: سيدي أحمد الصاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، الماهرة، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م، ص ١٧.

<sup>&</sup>lt;sup>٤</sup>) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي الحنفي التهانوي، ١/٤/١، بزيادة.

الحقيق والإسناد المجازي، يقول الصاوي: "وقوله على المن قال له يا سيد: السيد هو الله(١٠)، فمعناه: أنه الحقيق بالسيادة، وإطلاقها على غيره إنما هو بطريق العارية، فالمقصود منه إعلام الجاهل بالحقيقة "(١٠)، أي: هي لله بطريق الحقيقة، وإلى غيره بطريق المجاز، والمقصود من الحديث إعلام المخاطَب بالمعنى الحقيقي.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكُشَفُ عَن سَاقِ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسَّ تَطِيعُونَ ﴾ ("، الجمهور على أنَّ الكشف عن الساق عبارة عن شدة الأمر وصعوبة الخطب في أنَّ الكشف عن الساق عبارة عن شدة ولا ساق، ولكن كنَّى به عن الشدة؛ يُكُشَفُ عَن سَاقِ ﴾: يوم يشتد الأمر ويصعب، ولا كشف ثمة ولا ساق، ولكن كنَّى به عن الشدة؛ لأنهم إذا ابتلوا بشدة كشفوا عن الساق، وهذا كما تقول للأقطع الشحيح: يده مغلولة، ولا يد ثمة ولا غل، وإنما هو كناية عن البخل، وأما مَنْ شَبَّهَ فلضيق عَطَنِه، وقلة نظره في علم البيان، ولو كان الأمر كما زعم المشبهة لكان مِنْ حَقّ الساق أنْ يُعَرَّف؛ لأنها ساقٌ معهودةٌ عنده" (ف).

تأمّلُ قول النسفي: (وأما مَنْ شَبّه فلضيق عَطَنِه، وقلة نظره في علم البيان)، فإنه يدلّك على أنّ للجهل باللغة أثرًا في الوقوع في معاطن التشبيه والتجسيم، وأنّ العلوم مترابطة، فلا تستقيم دراسة علم الكلام والأصول مثلًا قبل دراسة العربية من نحو وصرف ومعانٍ وبيان وبديع، انظر إلى قول بهاء الدين السبكي في (شرح تلخيص المفتاح) في علوم البلاغة الذي استعان عليه بنحوٍ من ثلاثمائة مُصَنَف: "واعلم أني مزجت قواعد هذا العلم بقواعد الأصول والعربية... وضمنته شيئًا من القواعد المنطقية والمقاعد الكلامية والحكمة الرياضية أو الطبيعية"(٢)، أي: الفلسفة الرياضية،

<sup>)</sup> أصل الحديث: عن مطرف قال: قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلنا: أنت سيدنا، فقال: السيد الله. قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طولًا، فقال: قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان. سنن أبي داود، كتاب: الأدب، باب: في كراهية التمادح، ١٨٤/٧، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ه هـ - ٢٠٠٩ م، والحديث إسناده صحيح كما ذكر المحقق.

لنظر: حاشية على الخريدة البهية: سيدي أحمد الصاوي، ص ٣.

٣) سورة القلم، آية ٤٢.

للوقوف على طرائق أهل السنة في فهم النصوص الموهمة للتشبيه، ينظر: النظام الفريد بتحقيق جوهرة التوحيد:
 شيخ المحققين/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط٢، ١٣٧٥ه – ١٩٥٥م،
 ص ١٢٨، وما بعدها.

٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله النسفي، ص ١٢٧٠.

٦) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: بهاء الدين السبكي، ١٠٠/١.

والفلسفة الطبيعية، إذ الحكمة قديمًا على ثلاثة أقسام، ثالثها هو الحكمة الإلهية.

فإن قلت: رأينا أنَّ الجهل باللسان العربي، إنْ لم يوصل إلى الكفر أوقع في الخبال والاضطراب والتناقض الذي يتنزَّه عنه العقلاء، فما الطريق لنا نحن الدعاة؟ قلتُ: بذل الجهد للتمكُّن من العلوم اللغوية والعقلية، يقول شارح المقدمات السنوسية: (إذا عرفت أنَّ الجهل بهذه العلوم – علوم اللسان العربي – يوقع صاحبه في كفر أو بدعة؛ تعينَّن على مَن له قابلية لفهمها أن يجتهد في تحصيلها، ومَن ليست له قابلية لفهمها وجب عليه أن يتعلَّم ما هو فرضٌ عينيٌّ عليه من علم التوحيد)(١٠).

أي: مَن لم يتعلم العربية ينبغي أن يعرف الدلائل الإجمالية العقلية، والكمالُ الجمعُ بين تعلُّم اللغويات والعقليات، ومن الدواهي العظام في حياتنا الفكرية الجهل بهما معًا.

١) المواهب اللدنية شرح المقدمات السنوسية: أبو إسحاق إبراهيم السرقسطي، ص ٣٨.

#### الخاتمة

- العناية بالتكوين العلمي للدُّعاة من الضرورات الدعوية؛ لِمَا يزخر به العصر الحاضر من التكاثر على بث الشُّبَه وإشاعة الشكوك المزخرفة ببراهين العلوم الحديثة كما يُدَّعَى، وإلقائها على الشبكة العنكبويتة، فيتأثر بها مَنْ لم يتمكَّن مِنْ المنظومة المعرفية الرباعية، وما أكثرهم!
- ٢) تتمازج المكونات العلمية للعقلية الدعوية من خلال أربعة مسالك، وهي: العلوم النقلية، والعقلية، والذوقية، والتجرببية.
- ٣) لا تنحصر اللغة في النحو حيث إقامة أواخر الكلم بالإعراب والبناء، بل تشمل اثني عشر علمًا، هي: علم متن اللغة، والصرف، والاشتقاق، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع، والعروض، والقوافي، وقرض الشعر، والإنشاء، والخط، وزاد بعضهم: التاريخ، والمحاضرات.
- اليست اللغة مجرد صوتٍ يدلُ على معنى حتى يُستعاض عنها بِلُغَةٍ أخرى، بل ترتبط بالأفكار والاعتقادات والأمزجة، وإنْ جاز ذلك في كل اللغات ففي اللغة العربية خاصة؛ لأن المعجزة الخالدة للنبي محمد على القرآن، والعناية باللغة العربية عناية به، والابتعاد عنها ابتعاء عنه، وعلى مر التاريخ كان نهوض المسلمين منوطًا بقُرْبهم من القرآن، والقربُ إليه ليس إلا بإتقان اللغة التي نزل بلسانها.
- ليس للضعف اللغوي عند الدعاة أسباب خاصة بهم؛ وإنما هُم جزء مِنْ مجموع الطلاب، فالضعف عامٍّ في الطلاب، وليس خاصًا بالدعاة، لذا شملت معالجة هذه القضية الدعاة وغيرهم.
- آعظم أسباب الضعف اللغوي هو تركيز النظام التعليمي على حفظ القواعد وإهمال الجانب
   التطبيقي حيث الممارسة والتَّكْرارُ ونشوء الملكات.
- ٧) التمكن من العربية رافع لكثير من الخلاف الناشئ عن الجهل بعوائد العرب في الخطاب، وذلك لابنتاء كثير من أصول الدين وفروعه على العربية ودقائقها، وبدون العربية كيف تُعْرَفُ الطرائق الصحيحة لاستخراج الأحكام الشرعية من الأدلة التفصيلية؟ وكيف تُعْرَفُ الوجوه البيانية لإعجاز القرآن؟ ومن الجهل بذلك انبعثت الأراء المحرّمة لطيّبات الله، المضيّقة لدائرة المباحات، المكفّرة لخلق الله، المستحِلّة لدمائهم.

#### المراجع

### أُولًا: القرآن العظيم.

### ثانيا: كتب الحديث:

- 1) سنن أبي داود، كتاب: الأدب، باب: في كراهية التمادح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط محَمَّد كامِل قره بللى، دار الرسالة العالمية، ط١، ٢٠٠٩ هـ ٢٠٠٩ م.
- ۲) فيض الباري على صحيح البخاري: محمد أنور شاه الكشميري الهندي، تحقيق: محمد بدر
   عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٦ هـ ٢٠٠٥ م.

### ثالثا: كتب التفسير

- ۳) تفسیر الماتریدی (تأویلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتریدی،
   تحقیق: د. مجدی باسلوم، دار الکتب العلمیة، بیروت، لبنان، ط۱ ۲۲۱ هـ، ۲۰۰۵ م.
- غ) تفسير الماوردي (النكت والعيون): أبو الحسن علي بن محمد البغدادي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
- ه) جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠هـ ٢٠٠٠م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري
   جار الله، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ٢٠٧ه.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٢٢هـ، ٢٠٠١م.
- ٨) مدارك التنزيل وحقائق التأويل لتفسير النسفي): أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ه، ١٩٩٨م.
  - ٩) مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ٢٤٠ ه.

# رابعًا: كتب علوم اللغة العربية:

- ١٠) تاريخ آداب العرب: الأستاذ/ مصطفى صادق الرافعي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط٢، ٩٥٥هـ معربة الاستقامة، القاهرة، ط٢،
- ۱۱) تلخيص المفتاح: محمد بن عبد الرحمن القزويني، مكتبة البشرى، باكستان، ط۱، ۳۱، ۱هـ ۲۰۱۰م.

- 11) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب: السيد أحمد الهاشمي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط٧٧، ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.
- ۱۳) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
  - ١٤) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، دار الطباعة العامرة ببولاق مصر، ١٢٧١هـ.
- ۱۰) حاشية السجاعي على شرح قطر الندى لابن هشام، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ۱۳۵۸هـ ۱۹۳۹م.
- 17) حاشية العلامة الشيخ حسن العطار على شرح الأزهرية في علم النحو للشيخ خالد الأزهري، دار ميراث النبوة، القاهرة، ط1، ٢٤٤٢هـ ٢٠٢١م.
- ١٧) الخصائص لابن جني، تحقيق: الأستاذ/ محمد علي النجار، المكتبة العلمية عن طبعة دار الكتب المصربة, القاهرة، ١٣٧١هـ, ١٩٥٢م.
  - ١٨) خلاصة علم الوضع: الشيخ/ يوسف الدجوي، مكتبة القاهرة، ط٣، ٣٧٤ه ـ ٢٠١٦م.
- ١٩) ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه: أحمد أمين، وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣،
   ١٩٨٧م.
- ٢٠) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: بهاء الدين السبكي، المكتبة العصرية، بيروت،
   ط١، ٢٣ ٢ ١هـ ٢٠٠٣م.
- ٢١) القسطاس في علم العروض: جار الله الزمخشري، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف، بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.
  - ٢٢) لسان العرب: جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ
- ٢٣) المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية: الشيخ/ حمزة فتح الله، المطبعة الأميرية بمصر، ط١، ١٣١٢ه.
- ٢٤) الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية: حسين المرصفي، تحقيق: د/ عبد العزيز الدسوقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م.

#### خامساً: كتب أصول الدين:

- ٥٠) حاشية الأمير على شرح عبد السلام لجوهرة التوحيد للإمام اللقاني، مكتبة ذخائر الوراقين، القاهرة، ط١، ٢٠١٧هـ ٢٠١٧م.
- ٢٦) حاشية على الخريدة البهية: سيدي أحمد الصاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٣٦٦هـ ١٩٤٧م.

- ٢٧) المواهب اللدنية شرح المقدمات السنوسية: أبو إسحاق إبراهيم السرقسطي، مكتبة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٧٣هـ ٩٥٣م.
- ۲۸) النبراس (شرخ شرح العقائد النسفية): العلامة الفرهاري، مكتبة ياسين، تركيا، ط۱، ۱۴۳۳ ۲۰۱۲م.
- 79) النظام الفريد بتحقيق جوهرة التوحيد: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط٢، ١٣٧٥هـ ١٩٥٥.

### سادساً: كتب أصول الفقه:

- ٣٠) الإبهاج في شرح المنهاج: تقي الدين السبكي، وولده تاج الدين السبكي، تحقيق: د. أحمد جمال الزمزمي، د. نور الدين عبد الجبار، دار البحوث للدراسات الإسلامية، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠٤٤ه ع٠٠٠م.
- ٣١) البرهان في أصول الفقه: إمام الحرمين الجويني، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧م.
- ٣٢) الخلاصة في علم أصول الفقه: حسن حسين، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٣٨٥ه ٣٦) الخلاصة في علم أصول الفقه:
- ٣٣) الموافقات في أصول الشريعة: أبو إسحاق الشاطبي، علَّق عليه: محمد عبد الله دراز، مكتبة الأسرة، مصر، ط٢، ٢٠٠٦م.

#### سابعا: كتب عامة:

- ٣٤) أباطيل وأسمار: الأستاذ محمود شاكر، مكتبة الخانجي \_ القاهرة، ط٣، ٢٦٦ه \_ \_ .٠٠٥م.
  - ٣٥) أبجد العلوم: صديق بن حسن القنوجي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٨م.
- ٣٦) أثر الدرس اللغوي في فهم النص الشرعي: أ.د/ محمد المختار محمد المهدي، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة، العدد السابع عشر، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.
- ٣٧) إعجاز القرآن: القاضي أبو بكر الباقلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.
- ٣٨) إيضاح المبهم من معاني السلم: العلامة أحمد عبد المنعم الدمنهوري، تحقيق: د. مصطفى أبو زيد، دار البصائر، القاهرة، ط٣، ٤٣٤هـ ٢٠١٣م.
- ٣٩) تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر: د/ نفوسة زكريا، دار نشر الثقافة بالإسكندرية،

- ط١، ١٣٨٣ه \_ ١٩٦٤م.
- ٠٤) تحت راية القرآن: الأستاذ/ مصطفى صادق الرافعي، صحح أصوله تلميذه الأستاذ/ محمد سعيد العربان، دار الكتاب العربى، بيروت، ط٧، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.
- 13) التراث والتجديد مناقشات وردود: الإمام الأكبر/ أحمد الطيب، دار القدس العربي، القاهرة، ط٢، ١٤٣٧ه ٦٠١٦م.
- ٢٤) ترتيب العلوم: محمد بن أبي بكر المرعشي، الشهير بساجقلي زاده، تحقيق: محمد بن إسماعيل، دار البشائر الإسلامية، ط١، ٨٠٠ هـ ١٩٨٨م.
- ٤٣) خلاصة القواعد المنطقية: د/ عبد الغفار عبد الرؤف حسن، تقديم: أ.د/ صابر أحمد طه، أ.د/ محمد عبد الدايم الجندي، دار الإمام الرازي، القاهرة، ط١، ٢٢٢ هـ ٢٠٢١م.
- 33) دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون): القاضي عبد النبي بن عبد الرسول، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية لبنان / بيروت، ط١، ٢١هـ ٢٠٠٠م.
- وع) دليل معلمة المناهج الأزهرية (قائمة بالكتب المعتمدة في الأزهر الشريف)، تقديم: الإمام الأكبر/ أحمد الطيب، مجلس حكماء المسلمين، الإمارات العربية المتحدة، ط٣، ٤٤٠هـ ١٤٤٠م.
- ٢٤) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا: الأستاذ/ محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢، ٢٧ هـ ٢٠٠٦م.
- ٤٧) رؤية إسلامية في قضايا العصر: أ.د. محمد عبد الفضيل القوصي، هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، ط١، ٢٤٤٢هـ، ٢٠١٢م.
- ٤٨) على هامش السياسة (بعض مسائلنا القومية): د. حافظ عفيفي باشا، مطبعة دار الكتب المصربة، ١٩٣٨م.
- وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ٩٩٦م.
- ٥٠) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله، المشهور بكاتب چلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ٩٩٩م.
- ٥١) اللؤلؤ المنظوم في مبادئ العلوم: محمد أبي عليان الشافعي، المطبعة الحسينية بمصر،

- ٥٢٣١ه.
- ٢٥) المختار: عبد العزيز البشري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٣٥٤هـ ١٩٣٥م.
- ٥٣) المساجلات الفكرية بين الأستاذ محمود شاكر ومعاصريه: د. عبد الغفار عبد الرؤف حسن، المكتبة العمرية، دار الذخائر، القاهرة، ط١، ٢٢٢هـ ٢٠٢١م.
- ٤٥) مشكلة اللغة العربية، لماذا أخفقنا في تعليمها، وكيف نعلمها: الشيخ/ محمد عرفة، تقديم: أ.د/ حسن الشافعي، أ.د/ نظير محمد عياد، هدية مجلة الأزهر، جمادى الأولى سنة ٢٠٤٢هـ ديسمبر وبناير ٢٠٢٠م.
- ٥٥) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلم: أحمد بن مصطفى، الشهير بطاش كبري زاده، دار الكتب العلمية، القاهرة، ط١، ٥٠٥هـ هـ ١٩٨٥م.
- ٥٦) مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي، دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.
- ٥٧) مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق: د. علي عبد الواحد وإفي، مكتبة الأسرة، مصر، ط٢، ٢٠٠٦م.
- ٥٨) من جهود الأزهر في التجديد: تقديم: أ.د/ عباس شومان، هدية مجلة الأزهر، عدد: رجب ١٤٤١هـ مارس ٢٠٢٠م.
- ٩٥) منهجية التفكير العلمي في ضوء القواعد الأصولية: أ.د. محمود عبد الرحمن عبد المنعم، مفكرون الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٤٤١هـ، ٢٠٢٠م.
  - ٠٠) اليوم والغد: سلامة موسى، سلامة موسى للنشر والتوزيع \_ القاهرة، ط١، ١٩٢٨م.

#### ثامنا: المجلات والدوريات:

- 71) مجلة إبداع: العدد الخامس، السنة الثانية، رجب ١٤٠٤هـ مايو ١٩٨٤م، مقال للدكتور/ محمود الربيعي، بعنوان: من مشكلات الحداثة.
- ٦٢) مجلة أبولُو، عدد: أكتوبر سنة ١٩٣٢، مقال للدكتور/ زكي مبارك، بعنوان: الشعر العربي بين اليقظة والجمود.
- ٦٣) مجلة أدب ونقد، العدد الثاني، السنة الأولى، فبراير ١٩٨٤م، مقال للدكتور/ الطاهر أحمد مكى، بعنوان: مقالات الاستعمار والتخريب الثقافي.
- 15) مجلة الأديب، السنة ٣١، الجزء الرابع، أبريل سنة ١٩٧٢م، مقال للأستاذ/ عيسى الناعوري، بعنوان: لماذا نحن شعب لا يقرأ؟.

- ٥٦) مجلة الأديب، السنة السادسة، الجزء الثاني، فبراير سنة ١٩٤٧م، مقال للأستاذ/ عبد اللطيف شرارة، بعنوان: وسائل البعث العربي.
- 77) مجلة البيان الكويتية، عدد: ٢٨، يوليو ١٩٦٨م، مقال للأستاذ/ عبد السلام هارون، بعنوان: علاقة الإسلام باللغة العربية.
- ٦٧) مجلة البيان، السنة الأولى، الجزء الرابع، أول يونيو سنة ١٨٩٧م، ، مقال للأستاذ/ إبراهيم اليازجي، بعنوان: اللغة والعصر.
- ٦٨) مجلة البيان، السنة الأولى، الجزء السادس، أول أغسطس سنة ١٨٩٧م، مقال للأستاذ/ إبراهيم اليازجي، بعنوان: اللغة والعصر (تابع).
- 79) مجلة الدوحة، العدد: ١٠٠، جمادى الثانية سنة ١٤٠٤هـ أبريل سنة ١٩٨٤م، مقال للأستاذ/ فتحي رضوان، بعنوان: محنة اللغة العربية: انتهى الاحتلال العسكري، فمتى ينتهى الاحتلال اللغوي ؟!.
- ٧٠) مجلة الدوحة، عدد:١٠، ١٩٨١م، ، مقالة للدكتور/ عبد الله الطيب، بعنوان: ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم في التعليم.
- ٧١) مجلة الرسالة، السنة الثامنة، عدد: ٣٥٥، الاثنين ١٤ ربيع أول سنة ١٣٥٩هـ ٢٢ الربل سنة ١٤٠م، مقال للأستاذ/ محمود محمد شاكر، بعنوان: الأدب في أسبوع.
- ٧٢) مجلة الرسالة، السنة الخامسة، عدد: ٢٠٨، ١٩ ربيع الثاني سنة ١٣٥٦هـ ٢٨ يونية الاسالة، السنة الخامسة، عدد: ١٠٨، ١٩ ربيع الثاني سنة ١٣٥٦هـ ٢٨ يونية
- ٧٣) مجلة الرسالة، السنة الخامسة، عدد: ٢١٠، ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٦هـ ١٢ يوليه ١٣٥ مم مقال للأستاذ/ عوبس القرني، بعنوان: بعض أسباب الضعف في اللغة العربية.
- ٧٤) مجلة الرسالة، السنة العشرون، العدد ٩٦٦، ٩ ربيع الآخر سنة ١٣٧١هـ ٧ يناير سنة ١٩٥٦م، مقالة لفضيلة الأستاذ/ محمد محمد المدني، بعنوان: الأزهر الآن يعيش برئة واحدة.
- ٥٧) مجلة الرسالة، السنة العشرون، العدد: ٩٧٥، ١٤ جمادى الآخرة، سنة ١٣٧١هـ ١٠ مارس، سنة ١٩٥٦م، مقال للأستاذ الدكتور/ إبراهيم بيومي مدكور بك، بعنوان: الفكر واللغة.
- ٧٦) مجلة الزهراء، الجزء الخامس، المجلد الأول، ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣هـ، مقال للأستاذ/ محمد عزة دروزة، بعنوان: الدعوة الإسلامية وشخصية العرب القومية.
- ٧٧) مجلة القاهرة، عدد: ٧١، ١٧ رمضان ١٤٠٧هـ ـ ١٥ مايو ١٩٨٧م، مقالة للدكتور/

- إبراهيم مدكور، بعنوان: توصيات مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الدورة الثالثة والخمسين ١٩٨٧م.
- ٧٨) مجلة المعرفة، السنة الخامسة والعشرون، العددان: ٢٨٩، ٢٩٠، مارس، وأبريل، ١٩٨، ٢٩٠، مارس، وأبريل، ١٩٨٦م، مقالة للدكتور/ مازن المبارك، بعنوان: آفاق المعرفة نحو منهج تكاملي لعلوم اللغة.
- ٧٩) مجلة المقتطف، الجزء الأول من المجلد الرابع والتسعين، ١٠ ذي القعدة سنة ١٣٥٧هـ ١ يناير سنة ١٩٦٩م، مقال للأستاذ/ علي حافظ، بعنوان: الطبيعة الميتافيزيقية والعلوم التجريبية.
- ٠٠) مجلة المنار، الجزء الثالث، المجلد الثالث عشر، ٣٠ ربيع الأول سنة ١٣٢٨هـ ١٠ أبريل سنة ١٩١٠م، مقال للإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين، بعنوان: أطوار اللغة العربية.
- ٨١) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، الجزء الأول، رجب سنة ١٣٥٣هـ \_ أكتوبر سنة ١٩٣٥م، المطبعة الأميربة ببولاق، ١٩٣٥م.
- ٨٢) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء التاسع والسبعون، جمادى الآخرة ١٤١٧هـ ــ نوفمبر ٩٩٦م، تعريب التعليم الجامعي، أ.د/ عبد الحافظ حلمي محمد.
- ٨٣) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد: ٧٣، الجزء: ٣، ربيع الأول ١٤١٩هـ يوليو ٨٣) مجلة مجمع اللغة العربية.
- ١٤٠٥ مجمع اللغة العربية الأردني، العدد: ٢٧ ـ ٢٨، السنة التاسعة، ربيع الثاني، شوال معنان الخطيب، بعنوان: عدنان الخطيب، بعنوان: وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الخمسين ١٩٨٤م.
- ٥٨) مجمع اللغة العربية الأردني، العدد: ١٣، ١٤، شعبان، وذو الحجة ١٤٠١هـ ـ تموز، وكانون الأول ١٩٨١م، السنة الرابعة، مقالة للدكتور/ عدنان الخطيب، بعنوان: وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في الدورة السابعة والأربعين ١٩٨١م.

# فهرس

### المحتويات

٩٨	خص البحث:
1	ندمةندمة
	أسباب الاختيار:
	أهداف البحث:
	الدراسات السابقة:
	منهج البحث:
	خطة البحث:
1.7	7 <del>78</del>
1.4	<b>عربر مدلول بعض مصطلحات عنوان البحث</b>
١٠٧	مبحث الأول
1.4	علوم العربية وعلاقتها بالهوية الإسلامية
	المطلب الأول
	أنواع المعارف في المنظومة المعرفية الأزهرية
	المطلب الثاني
	الارتباط بين اللغة العربية والهُوية الإسلامية
119	مبحث الثاني
119	واقع اللغوي للدعاة
	المظاهر العامة للضعف اللغوي:
177	مبحث الثالث
175	قوضات الازدهار اللغوي للدعاة
	المطلب الأول
	العوامل الخارجية
	المطلب الثاني
	العوامل الداخلية
150	مبحث الرابع
	وامل تنمية الملكة اللغوية للدعاة
	أولًا: علم النحو:
	ثانيًا: علم الصرف:
	ثالثًا: علم البلاغة:
	رابعًا: علم متن اللغة:
150	مبحث الخامس
150	ار التمكُّن من العربية في تجديد الخطاب الديني

### حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

	كالتكوين اللغوي للدعاة وأثره في تجديد الخطاب الديني	
المطلب الأول		
إحياء العربية		
المطلب الثاني	1 £ V	
الفهم المنضيط لنصوص الشارع	1 £ V	
المطلب الثالث	105	
تعزيز الفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية	105	
لحاتمة	107	١
مراجع	104	١
- , u v	170	١